الرحمن الرحيم
بقلم
عبد الرزاق نوفل

دراسات

بقلم

عبد الرزاق نوفل

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ »

« صدق الله العظيم »

الإهداء

إلى بني الإنسان .. أينما كانوا

ليطمئنوا إلى رحمة ربهم ...

فهو الرحمن الرحيم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »

هناك حقيقة في حياة الإنسان لا تقبل الشك ... ولا يرقى إليها أي ارتياب .. وهي واضحة جلية لا تحتاج إلى أدلة لبيانها.. أو شروح لإثباتها .. هذه الحقيقة هي أن كل لحظة تمر بالإنسان في حياته إنما تعجل من ساعة رحيله وتقربه من آخرته التي لا محيد عنها .. ويخشى الإنسان هذه الحقيقة ويهرب دائما من الحديث عنها ولا يحاول أن يتأمل ويتدبر ، فلعله يجد فيها غير ما كان يخشاه منها ..

ولا شك أن هناك أكثر من سبب يدفعه إلى الخوف والخشية ولعل أقواها هو شعوره بأنه أخطأ في هذه الحياة .. وأن ذنوبه أكثر مما كان يجب ..

ولكن أين الإنسان الذي لم يخطىء ؟.. وأين العبد الذي لم يذنب .. ؟

إن الإنسان خطاء بطبعه مذنب بحكم ظروف وجوده ..

فهل ييأس الإنسان .. ويقنط العبد ؟ أم ترى أن رحمة الله الواسعة وقد شملت العباد في الدنيا بالرغم من خطاياهم وعلى ما هم فيه من ذنوب ستتسع لهم في الآخرة وهم وقوف بين يدي الله مستغفرين نادمين ؟ .

إن الله سبحانه وتعالى قد فتح باب رحمته بحيث تتسع لعباده مهما كان من ذنبهم وخطاياهم فيقول عز شأنه :

« قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِم لاَ تَقنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

.. فيا ترى هل تفكر الإنسان في قدر رحمة الله في الآخرة.. وإذا تفكر فيها ... فهل ييأس منها ؟...

إن هذا الكتاب الذي أقدمه لبني الإنسان جميعاً ... حين يوضح بعض آثار رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده في الدنيا وبعض صور رحمته بعباده في الآخرة ... وحين يستعرض بعض أسباب خلق الله للانسان .. فإنما يهدف إلى إشاعة الطمأنينة في قلوب الناس ويدعوهم إلى الاعتقاد في رحمة الله الواسعة

التي ستشملهم في آخرتهم كما شملتهم في دنياهم ..

والله أسأل أن يكتب لي ولك أجر الإيمان به .. وأن يجعل دعوتي ودعوتك جهاداً في سبيله لنكون مع من يقول عنهم سبحانه وتعالى :

« الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِم وَأَنفُسِهِم أَعظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولئِكَ هُمُ الفَائِزُوْنَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » . — صدق الله العظيم —

عبد الرزاق نوفل

بسم اللہ الرحمن الرحیم

تتردد أسماء الله الحسنى في جميع سور القرآن الكريم، ويتكرر ذكر صفاته جل شأنه في كثير من آياته الشريفة ؛ ومن ضمن الصفات التي تكررت .. الرحمة: ومن الأسماء الحسنى التي ذكرت ... الرحمن والرحيم .

وإن أول آية من آيات الكتاب العظيم يفتتح بها القرآن الكريم الآية الشريفة والتي رقمها واحد في السورة الأولى هي :

« بِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » .

وعلى ذلك فإن أول اسم من أسمائه سبحانه وتعالى ورد في الكتاب الكريم هو الله ... وأول الصفات التي وردت من صفاته جل شأنه هي الرحمن والرحيم .

وإذا كان في افتتاح القرآن الكريم بهذه الآية الشريفة الأمر لكل مسلم أن يفتتح قراءة القرآن بها فان فيه أيضاً علاوة على هذا .. التوجيه بأن يفتتح بها أي عمل ويبدأ بها أي قول ، وفيها أيضاً الدعوة إلى دراسة هذه الآية والتمعن فيما تهدف إليه .

والمتدبر للقرآن الكريم .. يجد أن كافة سوره الشريفة تبدأ بعد :

« بِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » :

فيما عدا سورة واحدة هي سورة التوبة التي تبدأ بدونها ... وقيل في ذلك إن سورة التوبة امتداد لسورة الأنفال ، فلم تفصل بينهما آية البسملة . ولكن الوضع الفعلي في الكتاب الكريم ، أن الأنفال سورة برقم وأن التوبة سورة قائمة بنفسها وبرقم آخر ... وفي رأي آخر أن سورة التوبة هي سورة الأمر بالقتال لذلك لم تفتتح بالرحمة التي تفتتح بها سور القرآن الكريم الأخرى ، ففي هذه السورة الشريفة نجد الآيات التي تعلن براءة الله سبحانه وتعالى ورسوله من المشركين مثل النص الكريم :

« وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » .

وكذلك آيات الإذن بالقتال مثل النص الشريف :

« فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرصَدٍ » .

« وَإِن نَكَثُوا أَيمَانَهُم مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي

دِينِكُم فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لعَلَّهُم يَنْتَهُونَ » .

بل أمرت بالقتال والشدة فيه بمثل النص الكريم :

« قَاتِلُوهُم يُعذِّبهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُم وَيُخْزِهِم وَيَنصُركُمْ عَلَيْهِم وَيَشفِ صُدورَ قَوْمٍ مُؤمِنِينَ » .

وتعلن آيات السورة الشريفة كذلك أن الله سبحانه وتعالى لن يغفر لمن كفروا به جل شأنه وبرسوله وذلك بالنص الشريف :

« « استَغفِر لَهُم أَو لا تَستَغْفِر لَهُم إن تَستَغفِر لَهُم سَبعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغفِر اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ واللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » .

وتطالب آياتها الرسول صلى الله عليه وسلم بألا يكون رحيما بالفاسقين فلا يصل على أحد منهم مات ولا يقم على قبره وذلك بالنص الكريم :

« وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنهُم مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُم عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ومَاتُوا وهُم فَاسِقُونَ » .

وبالرغم من خلو هذه السورة الشريفة وحدها بما تبدأ به كافة السور الأخرى وهي :

« بِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ »

فإننا نجد أنها تتكرر في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة مرة لتكون بعدد سوره الشريفة تماما ، إذ أنها وقد خلت منها سورة التوبة نجد أنها وردت مرتين في سورة النمل : المرة الأولى كالمعتاد في باقي السور أي قبل آياتها الشريفة. والثانية في النص الكريم :

« قَالَت يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

وبذلك يكون عددها مطابقا في الكتاب الكريم لعدد سوره الشريفة .

كما أننا نجد في سورة الفاتحة وهي التي يفتتح بها القرآن الكريم والتي يرددها المسلمون في كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل في صلواتهم يتكرر فيها الرحمن الرحيم في آيتين من مجموع آيات السورة الشريفة وعددها سبع .. في الآية الأولى وهي :

« بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ »

والآية الثالثة التي تعتبر أول ما يذكر من أسماء الله وصفاته في القرآن الكريم إذ تبدأ السورة بالنص الكريم :

« الْحمدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِين . الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ » .

لذلك كله بل ولبعضه ، يجب على كل مسلم أن يتدبر ويتأمل ويبحث لعله يهتدي إلى ما تشير إليه هذه الصفات التي اهتم بها القرآن الكريم هذا الاهتمام ، الذي يؤكد حرصه على الدعوة إلى دراسة ما تهدف إليه هذه الآية الشريفة ، وما تدل عليه هذه الصفات الكريمة .

لقد تكرر لفظ الرحمة ومشتقاتها ٣٢٥ مرة في القرآن الكريم ، تكرر لفظ الرحمن منها ٥٧ مرة ، وتكرر لفظ الرحيم ١١٤ مرة ، وذلك بدون إضافة البسملة التي تبدأ بعدها آيات السور الشريفة ، فإذا أضفنا إلى هذا العدد البسملة ، كان لفظ الرحمن قد تكرر ١٧٠ مرة ولفظ الرحيم ٢٢٧ مرة من مشتقات لفظ الرحمة التي يبلغ عددها بذلك ٤٣٨ مرة .

وقد حاول المجتهدون تجلية معنى الرحمن ، وكذلك معنى الرحيم منذ الأزمان البعيدة ، فكان مما تردد به القول ، إن الرحمن هو الذي تتصف ذاته بالرحمة ، فلأن الله هو الخالق ولأنه الرازق ولأنه المعطي فهو الرحمن ، والرحيم لأنه يرحم غيره بالفعل فهو يعفو عن خطايا الناس بالمغفرة .

وفي رأي آخر ، أن الرحمن هو المنعم بجلائل النعم ، والرحيم هو المنعم بدقائقها .. فالله هو الرحمن لأنه أنعم على الإنسان بنعمة البصر فخلق له العين وهو الرحيم لأنه خلق للعين

الجفون والأهداب لحمايتها . وهو الرحمن لأنه وهب للانسان الحياة وهو الرحيم لأنه هيأ له كل ما يحفظ له حياته .

وألا يمكن أن يكون المعنى كما قيل « الرحمن هو مانح البركات والرحيم هو الذي يعفو عن السيئات » .

ولكن ألا يمكن أن يكون في هذين اللفظين رأي آخر ، ويشملان معنى أكثر اتساعاً وأبعد عمقاً ؟

ألا يمكن أن يكون الرحمن هو الواسع الرحمة ، والرحيم هو الدائم الرحمة ؟.. وسعة الرحمة أمر تتطلبه الدنيا لما تستوجبه كثرة ذنوب الخلق فمنذ عصى آدم ربه إلى هذه اللحظة إلى أن تنتهي الدنيا وعباد الله يذنبون .. سواء أكان الذنب كبيراً أم صغيرا .. مقصوداً أو عن غير عمد فهذه الذنوب التي لا تنتهي في الدنيا يحتاج أمر العفو عنها وعدم الاسراع في الحساب عليها الرحمة الواسعة التي تزيد عن هذه الذنوب .. فالله سبحانه بسعة رحمته على الدنيا . وبالعباد فيها هو الرحمن .. واستمرار الرحمة أمر يناسب الحياتين الدنيا والآخرة .. الدنيا التي تنتهي بدءا .. والآخرة التي تبقى دوما .. فالله سبحانه وتعالى رحمن الدنيا ورحيم الدنيا والآخرة .

ومما يؤيد هذا الرأي أن لفظ الرحيم قد ورد في القرآن الكريم ضعف لفظ الرحمن تماما فقد تكرر ١١٤ مرة بينما ورد لفظ الرحمن ٥٧ مرة. أي أن لفظ الرحمن إن كان يختص بالرحمة في الحياة فإن لفظ الرحيم إنما يختص بالرحمة في الحياتين :

الدنيا والآخرة .. وكذلك ما يلاحظ في عدد ورود لفظ الرحيم إذ أنه ١١٤. وهو نفس عدد سور القرآن الكريم .. والقرآن الكريم إنما يشتمل كافة أمور الدنيا والآخرة .

ومن ضمن ما يؤيد هذا الرأي أيضاً أن معظم الآيات التي ورد فيها لفظ الرحمن تشير إلى الحياة الدنيا مثل الآيات الشريفة.

«قُلِ ادعُوا اللهَ أَوِ ادعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّاما تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تخَافِت بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً» .

والخطاب للبشر في حياتهم الدنيا. ويأمرهم بأن يدعوا الله سبحانه وتعالى بلفظ الجلالة أو بلفظ الرحمن .

« وَعِبَادُ الرَّحمن الَّذِينَ يمشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وإِذَا خاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سلاَمَاً » .

ولا شك أن هذه الآية الكريمة تصف عباد الرحمن في الدنيا .

« قلْ مَن يَكْلؤُكُم بِاللَّيلِ والنَّهَارِ مِنَ الرَّحمَنِ بَل هُم عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُعرِضُونَ » .

وهذا أمر يخص الإنسان في الدنيا .

« كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَت مِن قَبْلِها أُمَمٌ لِتَتلُوَ عَلَيهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيكَ وَهُم يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قل هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِليهِ مَتَابِ » .

وبديهي أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلو على أمته القرآن الكريم في الدنيا .

وهذه العذراء مريم تخاطب الملك الذي أرسله الله سبحانه وتعالى ليبشرها بغلام ستنجبه فتقول له :

« قَالَت إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحمَنِ مِنكَ إن كُنْتَ تَقِياً » .

وهذه حالة كانت في الدنيا عند هذا الخطاب .

ويرد عليها الملك يوصيها بما تفعله بالنص الكريم :

« فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِني نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا » .

وهذا في الدنيا أيضا ..

ويقول القرآن الكريم عن حال الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وإبراهيم وإسرائيل ومن هداهم جل شأنه عندما تتلى عليهم آيات الله سبحانه وتعالى في الدنيا ما نصه :

« إِذَا تُتْلَى عَلَيهِم آيَاتُ الرَّحمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًا » .

بينما نجد أن معظم الآيات التي ورد فيها لفظ الرحيم تشير إلى الآخرة إذ يرد هذا اللفظ بعد المغفرة . والمغفرة إنما تكون في الآخرة عند الحساب وذلك مثل الآيات الشريفة :

« واستَغْفِرُوا اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

« أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحمَتَ اللهِ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

« اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

« أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُم اللهُ فِي رَحمَتِهِ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

ويبلغ عدد الآيات التي ورد فيها لفظ الرحيم بعد المغفرة ٧٢ آيـــة .

وفي بعض الآيات نجد لفظ الرحيم قد ورد بعد التوبة الأمر الذي يوحي بأن الرحمة هنا في الآخرة فالتوبة إنما يكون قبولها وإعلانها يوم الحساب بمثل النص الشريف :

« إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وأَصْلَحُوا وبَيَّنُوا فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيهِم وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

وعدد هذه الآيات ٨

أو يرد لفظ الرحيم بعد العزة مثل :

« وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيم » .

وذلك في ١٣ آية كريمة .

ويجتمع الرحمن والرحيم في ست آيات شريفة مثل :

« تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ » .

وذلك في الآيات التي تبشر باجتماع الرحمة للناس في الدنيا والآخرة ..

ولقد وضع المجتهدون من المفسرين آراء في تفسير هذه الآية الشريفة :

« بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ » .

واتفقت هذه الآراء على أنها توجيه لمن يقرأ القرآن الكريم بأن يبدأ القراءة متبركا باسم الله ، ولكن ترى ما السر في اختيار الرحمن الرحيم واجتماعهما في هذه الآية التي يبدأ بها القرآن الكريم وكذلك ورودهما بعد اسم الله سبحانه وتعالى ولـه سبحانه الأسماء الحسنى والتي وردت في القرآن الكريم في مختلف السور الشريفة وفي نص الآيات الكريمة :

« هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ والشَّهَادةِ هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ

الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الجبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشرِكُونَ . هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارىءُالْمُصَوِّرُ لهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » .

وفي آيات كثيرة مثل :

« رَبُّ السَّموات والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ » .

« سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ » .

« أَم عندَهُم خَزَائِنُ رَحمةِ رَبِّكَ العَزيزِ الْوَهَّابِ » .

« إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ » .

« قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالحَقِّ وَهُو الْفَتَّاحُ العَلِيمُ » .

« إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

« وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه وَهُوَ الحكيمُ الخَبِيرُ » .

« وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الْكَبِيرُ » .

« لَهُ ما في السَّمَاواتِ ومَا في الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ».

« عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَالِ » .

« فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ » .

« اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ » .

« هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِن وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

ويختلف كل اسم من الأسماء الحسنى في عدد المرات التي تردد فيها في الآيات الشريفة ، ولقد تكرر لفظ الجلالة (الله) أكبر عدد في القرآن الكريم إذ بلغ عدد المرات التي تردد فيها في القرآن الكريم ٢٦٧٩ مرة فهل ورود هذا الاسم في أول الآية الشريفة :

« بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ » .

ليكون أول ما يتردد من أسماء الله في القرآن الكريم لهذا السبب ؟ إن اسم الله سبحانه وتعالى التالي للفظ الجلالة وهــو الرحمن ليس هو الاسم الثاني في عدد مرات تكراره في القرآن الكريم وليس هو الرحيم وإنما الاسم التالي بالنسبة للعدد هــو (العليم) الذي تردد ١٦٢ مرة بل حتى في ترتيب ورود الرحمن قبل الرحيم ليس العدد هو السبب لأن الرحيم تردد ضعف ما تردد الرحمن .

فليس ترتيب الأسماء الحسنى في الآية الشريفة بسبب عددها ولا بد أن يكون اختيار هذين الاسمين الكريمين في الآية بعد

اسم الجلالة لحكمة يجب على المسلم أن يحاول الوصول إلى بعضها على الأقل .

فهل يكون من ضمن ما تشير إليه هذه الآية الكريمة هو أن الله سبحانه وتعالى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة أنزل القرآن الكريم سبيلا إلى ابتغاء هذه الرحمة في الدنيا .. وطريقها إليها في الآخرة ؟..

وهل يكون من ضمن ما تدعو إليه هذه الآية الكريمة هو البحث في ميادين الرحمة لمعرفة آثارها في الدنيا وعلاماتها في الآخرة وبعد أن يتأكد الإنسان من اتساع هذه الرحمة واستمرارها فعليه أن يلتمس أسبابها بالمحافظة على ما تدعو إليه آيات القرآن الكريم والاستجابة لها ؟..

وهل يكون من ضمن ما تشير إليه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى خلق رحمته الواسعة المستمرة قبل غيرها وأنها سبقت في الخلق كل ما عداها ؟

وهل يكون من ضمن ما تشير إليه الآية الكريمة أن كل ما يقع للانسان في الحياة الدنيا إنما هو رحمة من الله حتى ما يصيبه من ألم إنما هو رحمة ، لأن الألم لا بد أن يكون جزاء بعض ما قدمت يد الإنسان وبه يرفع بعض عذاب الآخرة وعذاب الآخرة أشد وأقسى وذلك بالنص الشريف :

« وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَت أَيْدِيكُم وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ » .

وهل يكون من ضمن ما تشير إليه الآية الكريمة دعوة الإنسان إلى الاطمئنان إلى رحمة ربه ... الرحمة الواسعة المستمرة ، ولذلك تبدأ بها آيات الكتاب الكريم كله، وطولبنا أن نبدأ بها كل تلاوة حتى يتأكد معنى الرحمة في نفس الإنسان، فأن يبدأ الإنسان باسم الله الرحمن الرحيم غير أن يبدأ باسم الله العزيز الجبار بالنسبة لما تسببه كل من هاتين البدايتين من أثر في النفس وتكون بذلك الآية الشريفة :

« بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ »

بشرى أرادها الله سبحانه وتعالى للانسان وطالبنا بتلاوتها قبل كل تلاوة للقرآن الكريم حتى تتأكد البشرى في نفس الإنسان ويكون من ضمن معانيها ما تشير إليه الآية الشريفة :

« قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم لا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إنَّهُ هُوَ الْغَفُور الرَّحِيمُ » .

ولماذا لا تشتمل الآية الكريمة على كل هذه المعاني ؟. وهل يا ترى يكون لها أكثر من هذه المعاني التي تتفق كلها في الدعوة إلى ابتغاء رحمة الله في الدنيا والآخرة ؟ وهل تحمل سرا من أسرار القرآن الكريم يجعلها تنفرد عن غيرها بأن بها بدأ القرآن الكريم وبها يجب أن تبدأ كل تلاوة منه ..

لقد ورد في القرآن الكريم أن الملائكة أصحاب النار وهم

خزنتها عددهم تسعة عشر وذلك بالنص الكريم :

« وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » .

فهل يا ترى ملائكة الجنة عددهم تسعة عشر أيضاً ؟ لا سيما وليس في خلق الله من تفاوت وأن كل شيء في الوجود ، إنما طابعه الاتساق والاتزان فهل هناك ربط بين عدد التسعة عشر وهو عدد ملائكة النار والذي يحتمل أن يكون عـــدد ملائكة الجنة وخزنتها والآية الشريفة :

« بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

إذ أن عدد حروفها تسعة عشر أيضاً ؟ فهل هذه الآية طريق إلى الجنة ؟ ..

إن الآية الشريفة إنما هي ذكر لله يقينا وطلب لرحمته ضمنا. وليس كذكر الله إطلاقاً مما يتقرب به العبد لربه فهو أكبر من كل ما يعرفه الانسان وذلك بالنص الكريم :

« اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ » .

.. وليس أسعد للنفس من أن تدعو دائماً بالرحمة وتنتظر رحمة الله في كل لحظة وحين .

فاذا كان القرآن الكريم قد بدأ بهذه الآية الشريفة كـــل

سوره الكريمة وطالبنا لذلك أن نبدأ بها كل قول أو عمل طالما يبدأ بها أطهر وأسمى عمل ألا وهو تلاوة كلام الله .. فيا ترى لو استجاب الإنسان لذلك كم يذكر الله في يومه وليلته ؟.. وكم يرجو رحمته ؟ إن الإنسان إذا صحامن نومه فقد بدأ يقظته فلا بدّ ان يبدأها بهذهالآية الشريفة ، فإذا قام من فراشه فقد بدأت مغادرته له وبذلك وجب عليه أن يتلوها فاذا سار وجبت تلاوتها فقد بدأ سيره ولا بد أن يبدأ وضوءه وكذلك صلاته فاذا أفطر بدأه بتلاوتها .وعندما يرتدي ملابسه فهو سيبدأ بها وإذا غادر منزله فانما سيبدأ طريقه إلى وجهته ولذا يجب أن يبدأ بها فاذا وصل إلى مقره وبدأ عمله كانت تلاوة الآية الكريمة واجبة قبل أن يبدأ فاذا بدأ الكلام أو بالكتابة كانت :

« بِسم اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

هي المقدمة التي يبدأ بها وإذا أزمع على أمر أو استقر على رأي وبدأ تنفيذه فانه يتم ذلك بعد أن يتلو الآية الشريفة ثم إذا غادر مكانه ليعود إلى منزله وإذا بدأ المسير وعندما يدخل داره وعندما يبدأ خلع ملابسه وكذلك قبل وضوئه وقبل صلاته وعند تناول طعامه .. ويتكرر ذلك في النصف الثاني من اليوم .. ثم في المساء والليل .. وهكذا إذا ما تدبر الانسان حاله لوجد أنه دائماً في بداية حال جديد وأنه لو استجاب لما توجهه إليه هذه الآية الشريفة من تلاوتها في كل بداية لوجب عليه أن يتلوها في كل لحظة ممكنة وبذلك يكون في ذكر الله دائم .. أليس الإنسان بذلك يذكر الله كثيراً ..

فهل المستجيبون والمستجيبات لهذه الآية الشريفة هم الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ؟.. يقينا هم منهم على الأقل .. وهؤلاء قد أعد الله سبحانه وتعالى لهم خيراً أكثر من كل ما يطمع فيه أي إنسان .. مغفرة وأجرا عظيما .. وذلك بنص الآية الشريفة :

« والذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً » .

.. ولا يستطيع الإنسان إدراك حدود هذه المغفرة ولا يمكن للعقل أن يتصور قدر هذا الأجر ..

فهل إلى ذلك توجهنا الآية الشريفة ؟..

وهلا نستجيب ؟

لماذا خلق الله الإنسان

قد يرى البعض أن أول سؤال دار في مخيلة الإنسان بعد أن وجد نفسه يعيش على أرض قد مهدت لحياته وتوافرت له فيها كل احتياجاته هو : من خلقه ؟ .. ولم يجد أي صعوبة في الإجابة على سؤاله .. فحيث أنه لم يخلق نفسه ، فلا بد أن غيره خلقه . ولما كان من حوله هو الإنسان الذي يشابهه أو الطير أو الحيوان .. ولما كان هو نفسه لم يخلق هذا الإنسان الآخر ولا الطير أو الحيوان .. فمما لا شك فيه أن من خلقه ليس من جنسه ولا من جنس أي كائن قد خلق أيضاً .. وتلفت حوله .. فإذا وحدات الوجود كله بما فيه من شمس وقمر ونجوم .. ونبات وهواء .. وطير وماء .. تحكمها — كما تحكمه هو — قوى خفية تسيطر على كافة شئون الحياة كلها .. فلا بد أن هذه القوى التي قدرت وقررت .. وشاءت فأوجدت .. إنما هي من تقوم الحياة بأمرها .. وهذه القوى لا تترك شأنا في الوجود أيا كان قدره صغيراً أو كبيراً .. قريباً أو بعيداً .. إلا وترعاه .. الرعاية التامة الكاملة .. فهذا الحجر الصلد قد يحتوي .. بل كثيراً ما

يحتوي .. على دودة صغيرة فلا بد أن يتم بطريقة أو غيرها ما يمكن لها الحياة والاستقرار في هذا الحجر .. وإذا تعجب الإنسان كيف يتوافر لها الغذاء والماء .. فإنه يجد المثل في نفسه .. كان جنيناً في بطن أمه .. ولم يضره ما فيها من سوائل وإفرازات بل إنها كانت طريق حياته وغذائه .. ولو أنها بعد أن يولد إذا عاش فيها مات يقيناً .. فما يضره في مرحلة .. يفيده في غيرها .. وهكذا لم تقم أية صعوبة أمام غذائه ومائه .. فهذه القوى .. قوى مدبرة .. عاقلة .. حكيمة .. رحيمة .

وشاء الله سبحانه وتعالى فكشف للانسان عن حقيقة الوجود عن طريق الفطرة .. وزيادة في التأكيد أرسل الرسل والأنبياء يبلغونه بهذه الحقيقة .. فلما طابق ما تقول به الرسل علــى مشاهداته .. في نفسه وفيما حوله .. وما ينبعث من داخل نفسه .. تأكدت له الحقيقة الأولى في الحياة وهي أن للوجود ربا .. ووجد الإجابة القاطعة على سؤاله من خلق الإنسان .. وصدق الله العظيم الذي يقول في محكم آياته الشريفة :

« قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ الْقَهَّارُ » .

ويقيناً أن هذا السؤال ليس كما يعتقد البعض هو أول ما خطر على ذهن البشر من أسئلة عن الحياة والخلق .. إذ أن هذا السؤال لم يتردد إطلاقاً في ذهن سيدنا آدم .. فقد عرف تماماً أن الله سبحانه وتعالى خلقه .. وعلمه ما لم يكن يعلم وأمره بما يجب عليه أن يعمل به .. فلما عصى آدم ربه في بعض ما أمره

به وارتكب ما كان قد نهاه سبحانه وتعالى عنه .. وشاءت إرادة الله جل شأنه أن ينزل آدم وزوجته من الجنة إلى الأرض تلقى آدم من ربه ما يتعلم به كيف يتوب إليه .. فآدم إذاً كان يعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقه وبديهي أن ما يقال عن آدم إنما ينسحب على زوجته .. وأنهما يقيناً علمـــا أولادهما ما كانا قد تعلماه .. واستمر هذا العلم ينتقل من أجيال إلى أخرى : الله وحده أعلم بعدتها .. إلى أن حجبت المادية المظلمة أنوار القلوب فعميت البصيرة ووجد الجيل الذي تساءل بعض أفراده .. ترى من خلق الإنسان ؟ ..

ولعل السؤال الذي سبق ذلك .. هو لماذا خلق الله الإنسان ؟ .. فهل يا ترى ردد سيدنا آدم هذا السؤال .. على نفسه ؟ أم أنه عرفه فصمت .. أو أنه لم يعرف فسكت .. أو أنه عرف وأبلغ أولاده ثم أحفاده .. إلى أن ارتفعت الاجابة من قلوب الناس .. وعقولهم .

لماذا خلق الله الإنسان ؟ .. هذا هو السؤال الذي ظل العلماء والفلاسفة يبحثون لعلهم يجدون الاجابة الشافية التي يرتضيها الجميع .. وإن الاجابة عليه .. لم يتفق عليها العلماء والبحاث بعد .. وكل ما وضع في الإجابة عليه إنما هو من قبيل الاجتهاد الفردي .. والقول بالرأي الشخصي ... ومما يؤكد قدم هذا السؤال أننا نجد مثل هذه المحاولات قديمة بل وممعنة في القدم حيث كانت موضع دراسة الفلاسفة ورجال الفكر منذ عصور التاريخ الأولى .

إن أكثر ما تردد من الآراء في الإجابة على هذا السؤال .. هو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعرف في هذا الكون فخلق الإنسان .. فهل عُرف الله بالإنسان ؟ .. إن الله جل شأنه خلق أعداداً من النجوم والكواكب وما أمكن حتى الآن معرفته هو العدد القليل الضئيل منها والذي لا يعتبر شيئاً .. وبالرغم من ذلك فإن هذا العدد الذي أمكن رصده أو معرفته لا يمكـــن قراءته أو كتابته فهو يبلغ بضع عشرات من الأرقام لا هي ملايين ولا ملايين الملايين ولكنها أكثر من ذلك .. وما لم يتمكن الإنسان من معرفته بعد .. والذي لا يمكنه معرفته لفرط بعده إلى درجة لا تخطر على البال .. أضعاف أضعاف ذلك .. هذه النجوم والكواكب لها مساراتها وحركاتها الدقيقة المنظمة . ويقول العلم إن هذا الكون قديم .. وقديم جدا .. إلى درجة لا يتخيلها أي إنسان .. فهو هكذا يقوم منذ عدد من السنين يعتبر من قبيل الحدس والتخمين .. ملايين الملايين من السنين .. وكل ما يقول به الإنسان قد لا يكون صحيحاً .. فليس في قدرة الحساب والرصد الإجابة على هذه الأسئلة .. ولقد ظلت هذه الأعداد من النجوم طوال هذه السنين وهي تسير في نظام محكم دقيق .. لا تحيد عنه لمسة ولا تتأخر فيه لحظة . وكل ذلك إنما امتثالا لأمر الله .. واستجابة لإرادته .. وفي مجموعتنا نحن وهي التي نعيش في أحد كواكبها .. نجد الشمس .. ونرى القمر .. وليس من دليل أبلغ من دليل الرؤية بالعين .. والعين المجردة .. هذه الشمس يراها الإنسان منا طوال حياته لا تغير موعد شروقها ..

ولا تخلف زمان غروبها .. ولا تخرج عن خط سيرها .. إطلاقا ... بل إن الإنسان وقد وجد أن لها في كل يوم موعداً لا تخلفه .. اتخذ من موعد شروقها ... وغروبها ... وخطوط سيرها ما ينظم به وقته ... ويضبط عليه توقيته .. وهذه الأرض يعيش عليها الإنسان طوال عمره فيجدها وهي تدور بنظام ثابت وحركة رتيبة .. إن الشمس والأرض والقمر والنجوم .. إنها كلها مسخرة بأمر الله .. وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« وَالشَّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ والأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ » .

وهي في طاعة تامة لله سبحانه وتعالى ... طاعة اختيارية فالله سبحانه وتعالى عندما أمرها أن تأتي طوعا أو كرها اختارت الطواعية وذلك بنص الآية الكريمة :

« ثم استَوَى إلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا ولِلأَرْضِ ائْتِيَا طوعاً أو كرهاً قَالَتَا أَتَينَا طَائِعِينَ » .

وهذه الرياح التي ما توقفت عن التسبيح لله لحظة .. والأشجار والنباتات التي ما عصت الله مرة .. والأمطار التي ما خالفت أمر الله برهة .. أليست كل هذه وما شابهها هي مكونات الوجود ؟ . وأليست كلها في ذكر دائم مستمر لله .. ؟ وتسبيح كامل متصل له .. ؟ وأليست هي شواهد قائمة تدل عليه ؟ ..

وأليس بها يعرف الله ؟ .. وهل بالإنسان يعرف الله .. ؟ وقد خلقه جل شأنه ونعمه وأكرمه وأعطاه ومنحه .. وبالرغم من ذلك نجد من بين بني الإنسان من يقف ليخرج أبشع ما يمكن أن يتصور من قول .. فيقول أين الله .. ؟ وينكر وجوده .. بل ويسوق سخيف الأدلة وباطل الشهادة على فاسد الرأي .. ونسي .. من خلقه .. ومن يرزقه .. ومن يحفظه من أمر نفسه .. وأمر الناس .. وأمر الوجود وليس من يقول ذلك في العالم فرد أو أفراد .. بل نجدهم جماعات .. وليسوا في زمن واحد .. بل في كل الأزمنة .. فهل بعد ذلك نقول إن الله خلق الإنسان ليعرف في الكون .. ؟ وبعد أن تبين أن الإنسان هو الوحيد من وحدات الوجود الذي قد ينطق بعض أفراده بكلمة الكفر أو الشرك .. وهو الوحيد منها الذي عصى ربه منذ أول لحظة خلقه .

وقد يرى البعض أن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الإنسان للعبادة وذلك اعتماداً على النص الشريف :

« وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ » .

ويرى البعض الآخر أن معنى الآية الكريمة لا ينصرف فقط إلى أن عمل الجن والإنس في الحياة محدد بعبادة الله أي إقامة شعائر العبادات وإنما الآية الشريفة تشير إلى أن كل الجن والإنس ومن خلقهم الله سبحانه وتعالى إنما عبيد الله .. وفي موضع العبودية .. فوجب بنص الآية الكريمة ألا يتخذ البعض

غيرهم أربابا من دون الله سبحانه وتعالى .. فهؤلاء الـــذين يعاملون ملوكهم أو كهانهم معاملة العبيد لله .. قد أشركوا يقيناً .. وكل من التمس عند غير الله ما يجب أن يلتمسه منه سبحانه وتعالى وحده من رزق أو عمل أو خير أو دفع شر .. إنما قد أشرك .. إذ أنه قد اتخذ ممن خلقهم الله أربابا وكأنه عبد لهم .. وما خلق الله سبحانه الجن .. أي جن .. والإنس .. كل إنس .. إلا عباداً له ..

وما أسعد أن يكون الإنسان عبداً لله .. فهذا هو منتهى ما يطمع فيه .. عبداً مخلصاً لله .. إذ أن عبدالله المخلص هو السعيد في الدنيا والآخرة .. فإذا كان الإنسان في الحياة الدنيا إذا استشعر الأنس من كبير أو وجد حبه عند قوي .. أو أخلص في علاقته بخطير نجده قد هدأت نفسه وانشرح قلبه واطمأن إلى يومه .. وذلك بالرغم من أنه في ذلك مخطىء وواهم يقينا .. فلا يستطيع الكبير أو القوي أو الخطير أن يدفع شراً .. أو يجلب خيراً .. لم يرده الله .. فيا ترى كيف به لو أحس بالأنس بالله .. ولمس حب الله له .. وبذل من نفسه الإخلاص لله .. كيف يكون حاله ؟ . وكيف تصبح أيامه وتصير لياليه ؟ . وهكذا تكون الآية الشريفة إنما تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الإنسان ليسعد بأن يكون عبداً لله وحده .. ولا يعرف هـــذه السعادة إلا من أخلص العبادة لله وأفرغ من قلبه كل تعلق إلا به .. ولذلك دعت آيات القرآن الكريم إلى الإخلاص في العبادة في مثل نص الآيات الكريمة :

« قل إنّي أُمِرْتُ أنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ » .

« قُلِ اللهَ أعبدُ مُخْلِصاً لهُ دِينِي » .

وإذا ما وصل الإنسان إلى هذه المرتبة التي يجب أن يعمل من أجلها كان في رحمة الله في الدنيا والآخرة فالله قد اصطفى عباده المخلصين فجعلهم في أمان من غواية الشيطان بنص الآية الكريمة :

« قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » .

ووعدهم بالنجاة والمغفرة والفوز في الآخرة وذلك بنص مثل الآيات الشريفة :

« فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ . إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ » ، « فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمحْضَرُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ » .

بل إن عباد الله المخلصين قد امتازوا على غيرهم بما لا يمكن تخيله ويكفي أن يتلو الإنسان بعض الآيات الشريفة التي تصف حالهم في الآخرة ليعرف قدرهم فيها وذلك بالنص الكريم :

« وَمَا تُجْزونَ إِلَّا مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللهِ

الْمُخْلَصِينَ . أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعلوم . فَوَاكِهُ وَهُم مُكْرَمُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . يُطَافُ عَلَيهِم بِكَأْسٍ مِن مَعِينٍ . بَيضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . لاَ فِيهَا غَولٌ وَلاَ هُم عَنهَا يُنزَفُونَ. وَعِنْدَهُم قَاصِرَاتُ الطَّرفِ عِينٌ. كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ » .

والمتأمل ،في آيات القرآن الكريم التي وردت فيها عبادة الله يجد أن كل الآيات التي وردت فيها العبودية منسوبة لله سبحانه وتعالى مثل عبادي وعباده وعبادنا كلها آيات تفيض بالرحمة والإحسان والعفو والمغفرة مثل :

« إنَّ عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطَانٌ إلَّا من اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ » ، « نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » ، « ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ » ، « وَلكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » ، « سَلَامٌ على إبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجزِي المُحْسِنِينَ . إنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » ، « مَا كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَن نَشَاءُ مِن عِبَادِنَا » .

وكذلك العباد في مثل الآيات الشريفة :

« وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ » ، « إنَّ الأَبْرَار يشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً » .

بينما الآيات التي ورد فيها لفظ العبيد فقط كلها آيات الحساب والعقاب مثل :

« لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إنَّ اللهَ فَقيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكتُبُ مَا قَالُوا وَقَتلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بغَيرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيق . ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُم وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » ، « قَالَ لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَد قَدَّمْتُ إليكُم بِالوَعِيدِ . مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .

وفي هذا البيات الواضح للفارق بين العبد المخلص لله .. وغيره من العباد .. وأما اللذين يستكبرون عن عبادته سبحانه وتعالى .. وهم فعلا عباد شاءوا .. أو كفروا .. فقد أورد القرآن الكريم جزاءهم في مثل الآية الشريفة :

« إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سَيدخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » .

وبذلك فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليعمل ويطلب الرزق ويسعى من أجله على أن يكون في ذلك كله عبداً مخلصاً لله .. شاكرا له كل ما يناله .. مؤمناً بأنه وحده جل شأنه الرب الذي منحه .. والله الذي أعطاه .. وأن يقوم بكل مستلزمات العبادة من فرائض على أن يكون في أدائها مخلصاً .. وعليها محافظا ..

وحتى تتأكد في الإنسان عقيدة العبادة ويفوز بأجرها فقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء على فترات من الزمن ، وما كانت دعوتهم جميعا إلا لأن يكون الإنسان عبداً مخلصاً لله وذلك بنص الآية الشريفة :

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعبُدوا اللهَ » .

وما من قوم إلا وأرسل الله لهم الرسول الذي يدعوهم إلى عبادة الله .. وذلك بنص مثل الآيات الكريمة :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُم صَالِحاً أَن اعبُدُوا اللهَ » ،
« وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُم شُعَيباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله » ،
« وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُم هُوداً قَالَ يَا قَومِ اعبُدُوا اللهَ » .

وما أسهل الطريق ليكون الإنسان عبداً مخلصاً لله ... فيتحقق له الهدف من خلقه إذ يحس بالرحمة في الدنيا وينعم بها في الآخرة .. فقد خلق الله الإنسان رحمة منه ورحمة به ..

وقد يرى البعض أنه لما كانت للإنسان حياة قبل أن تسكن روحه في جسده إذ عندما كان البشر أرواحا مجردة وقبل أن تنزل في الأجساد أشهدها الله سبحانه وتعالى بما يجعلها تؤمن وتشهد به جل شأنه .. حتى تظل هذه الروح على بينة من أمرها .. مؤمنة بربها .. مطمئنة إلى خالقها فلا يأتي اليوم الذي يعتذر فيه الإنسان وروحه كانت في جسده يوما بأنه غفل عن المشاهدة أو أنه كان يرى الآباء قد أشركوا وضلوا الطريق .. وفي ذلك يقول القرآن الكريم عن حالة حياة الأرواح قبل نزولها في الأجساد :

« وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتهُم وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ أَبَاؤُنَا مِن قَبلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعدِهِم أَفَتُهلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المبطلونَ » .

ولذلك نجد أن الطفل يولد وهو يؤمن بالله إيمانا فطريـــا قويا جارفا يملأ عليه كل حواسه ونفسه ، وأن هذا الطفل لو لم تصله أية رسالة أو يتصل به أحد إطلاقا فإنه ينشأ مؤمنا بالله إيمانا لا يتزعزع .. وأن ما قد يثير فيه الشكوك هو ما يستمع إليه من ضلال الملحدين وما يصل إليه من فلسفة الماديين وظلام المشركين.

وكل ما قد يثار في نفس الإنسان من شكوك إنما هي

وساوس يلقيها الشيطان في نفوس بعض الناس فمن كان ضعيفا في إيمانه أو مشغولا عن ربه فقد يجد لهذه الوساوس صدى في نفسه واستجابة في قلبه فيعمد إلى نشرها .. وغالبا ما تكـــون وسوسة الشيطان للإنسان فيما يظهره له فيه بمنفعة عاجلة أو صورة براقة مع تيسير السبيل اليها .. فكم يوسوس الشيطان للإنسان مثلا أن يشرب كأسا من الخمر .. فقد يكون فيهـــا الشفاء لوعكة في جسمه .. أو الراحة من تفكير في نفسه . وماذا تضر الكأس الواحدة . فلتكن مرة .. ثم تقلع عنها .. ولماذا هذا الصديق وذاك .. يشربون .. ويعربدون .. ألا تجد أنهم سعداء .. عليك إذا بكأس واحدة .. لمرة واحدة .. أو غير ذلك من الذنوب .. والآثام .. كبيرها وصغيرها .. والذنب مرة والخطيئة واحدة .. ثم يبدأ الشيطان في تزيين العودة إليها .. ويظل الإنسان بذلك .. تحت تأثير غواية الشيطان ... حتى يتوب إلى الله التوبة الصادقة الخالصة ... أو والعياذ بالله ... يظل على حاله ... إلى أن يلقى الله ... مذنبا .. وقد استجاب آدم لغواية الشيطان الذي وسوس له ... وهو في الجنة بأن الشجرة التي نهاه الله سبحانه وتعالى عن أكلها هي شجرة الخلد ... فأكل منها آدم ... طلباً للخلد ... ثم تبين كذب إبليس عليه ... وندم آدم على خطيئته ... فأراد الله جل شأنه أن يرفع من على ذرية آدم ذنب الخطيئة وآثارها ... فكانت فرصة الحياة الدنيا للبشر ... ليهتدوا بما يرسله الله لهم جل شأنه من رسل ... ويغالبوا الشيطان ... فلا يستجيبوا له ... فمن استجاب لداعي الله ... وغالب

الشيطان فقد فاز في الدنيا وفي الآخرة ... وهكذا يكون الإنسان قد خلقه الله سبحانه وتعالى رحمة منه ... ورحمة به ... وليعرف الشيطان أن لله عبادا يطيعونه ويؤمنون به ... ويرجون ثوابه ... فكما ينال الشيطان وأعوانه أشد العقاب ... كذلك ينال العبد المؤمن المطيع ... أفضل الجزاء ...

وقد يرى البعض أن الأصل في كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى هو سكنى الجنى ... الجنة التي لا يمكن أن تخطر حقيقتها على عقل البشر ... وأن آدم وزوجه والملائكة جميعاً ... إنما كانوا جميعاً في الجنة ... أصلا ... وأن آدم وقد ارتكب وزوجته ما جعلهما لا يصلحان لسكنى الجنة فعلا ... فقد هبطا إلى مستوى أقل مما كانا فيه يتناسب وحالتهما بعد المعصية ... فلما ندما وحزنا وأسفا ... وتابا ... قبل الله توبتهما ... وبذلك فعلى كل ذرية آدم أن تعمل لتعود إلى الجنة ، فالله سبحانه وتعالى إنما يدعو عباده إلى ذلك بنص الآية الكريمة :

وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الجَنَّةِ والمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » .

فهل يا ترى يتصرف الإنسان في الحياة تصرف الراغب في العودة إلى الجنة أم ترى قد كتبت عليه الشقوة فيزداد في المعصية ويبتعد عن الجنة إلى النار التي أعدت للشياطين ومـــن يستمعون إليهم ويستجيبون لهم ... ولذلك فالحياة الدنيا هي

فرصة الإنسان يعود إلى الجنة مرة أخرى ... ومها كانت أيامها قصيرة أو طويلة ... للحظات أو أعوام فهي إلى نهاية سريعة مؤكدة بعدها يعرف الإنسان هل قدم ما يسمح له بالعودة إلى حيث كان أصله ويستمع إلى الأمر الكريم :

« ادْخُلوا الجَنَّةَ أنتُم وأزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ . يُطَافُ عَلَيهِم بِصحافٍ مِن ذَهَبٍ وَأكوَابٍ وَفِيهَا ما تشتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَتِلْكَ الجَنَّةُ التِي أُورِثتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ » .

أم ترى يذهب إلى حيث يعيش مع من أضل الشيطان من جنسه ولذلك فإن الله جل شأنه قد حذر الإنسان من فتنة الشيطان حتى لا يمنعه الجنة كما أخرج أبويه منها وذلك بنص الآية الكريمة :

« يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفتِننكُم الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبوَيكُم مِنَ الجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنهُما لبَاسَهُما لِيُرِيهمَا سَوءاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُم هوَ وَقَبيلهُ منْ حَيثُ لَا تَرَونَهُم إنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ » .

ولذلك خلق الله الإنسان في الدنيا ... رحمة منه ... ورحمة به ... حتى يسلك الطريق الذي يعود به إلى الجنة بعد أن يجاهد

الإنسان الشيطان ويصبر على ما قد يناله في الدنيا إيمانا واحتسابا ... وذلك بنص الآية الشريفة :

« أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم ويَعلَم الصَّابرينَ » .

وقد يرى البعض أنه لما كان كل ما في الوجود إنما هـو مسخر للإنسان يقينا وأن كل القوى التي يحس بها من حولـه والتي تسيطر على الكون إنما هي في خدمة الإنسان وصدق الله العظيم الذي يقول في كتابه العزيز :

« وَسَخَّرَ لَكُم الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّر لَكمُ الأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكم الشَّمسَ وَالقَمَر دَائِبَين وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ » .

وأنه إذا أمعن النظر حقا في السماء أو الأرض لوجد أن كل ما فيها إنما هو مسخر له وصدق ما تقول به الآية الكريمة :

« وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض جَمِيعاً مِنْهُ إنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .

وأن الله سبحانه وتعالى علم الإنسان ما يتمكن به من ممارسة الحياة ممارسة كاملة ناجحة ... بل إنه جل شأنه علم الإنسان

ما جعله يتفوق به على الملائكة في ميدان هذا العلم وذلك بنص الآية الشريفة :

« وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحانَكَ لاَ عِلْمَ لنَا إلا مَا عَلَّمْتَنَا إنكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الحَكِيمُ » .

وأن الله سبحانه وتعالى قد عم فضله وشملت رحمته الإنسان في كل أحواله فإنه إذا ألقى البذر في الأرض فإن الله سبحانه وهو الذي يزرعه بأمره وأن الماء الذي ينتظره الإنسان ليقضي به حاجته ويحافظ به على حياته فالله سبحانه وحده هو الذي ينزله من السماء ... والنار التي تعتبر أساساً لحياته ... هل يمكن للانسان إلا أن يعترف أنها من أمر الله ... وهكذا في كل ما حول الإنسان ... وفي ذلك تقول الآيات الكريمة :

« أَفَرَأَيتم مَّا تَحرُثُونَ . أَأَنْتم تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ» « أَفَرَأَيتُمُ الماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنْتمْ أَنزَلْتمُوهُ مِنَ المُزْنِ أَمْ نَحْنُ المنزِلونَ » ، « أَفَرَأَيتم النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنْتم أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحنُ المُنْشِئُونَ » .

فكأن الحياة الناعمة الهادئة الرغيدة إنما هي القصد والقصد

العمد من خلق الإنسان وما أجمل الحياة الدنيا ... أيا كان طعمها ... أو شكلها ... أو لونها ... وما أشد تعلق الإنسان بها ... ومحاولة الحفاظ عليها ... فالإنسان أيا كانت ظروفه ... ومهما كانت قيمة حياته ... نجده يتلمس أسباب بقائه فيها ... ويرجو لو تطول أيامه بها ... وقد تمر بالإنسان لحظات مؤلمة في الحياة .. كفشل أو مرض ... أو خسارة ولكن الساعات الطويلة السعيدة الأخرى ... كفيلة بحجب آثارها ... وإزالة بصماتها ... فالحياة الدنيا حيث أراد الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يعيش فيها لفترة زمنية محدودة إنما جعلها متاعا للإنسان ... وأيا كان شكل الحياة ... فهي بالنسبة له متاع وفي ذلك تقول الآية الكريمة :

« وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » .

وهذا المتاع الذي هو إلى حين ... إنما يتناسب ... وعمر الحياة في الدنيا ... وأما المتاع الآخر ... فلا بد أن يتناسب وعمر الحياة الآخرة وليس لها نهاية ... فكأن الإنسان إنما خلق في الدنيا ليعيش في متاع إلى حين ثم ينتقل إلى متاع أكبر ... ومن سعادة إلى سعادة أشمل ... ومن رحمة إلى رحمة أوسع ... وهكذا خلق الله الإنسان رحمة منه ... ورحمة به ...

وقد يرى البعض أنه لما كانت الحياة ليست وقفا على هذه الأرض كما كان يظن من قبل ، بل إن الحياة في كل مكان من الوجود ، والأحياء تعمر بهم وحدات هذا الكون ... والكون الذي نعرفه إنما هو واحد من عدد لا يمكن أن نتكهن به من

أكوان أخرى . وكلها تتميز بوجود الحياة والأحياء فيها ... فلا بد إذاً من اختلاف ألوان الحياة وأشكالها ، وتباين حالات الأحياء وقدراتها ومعارفها ... فياترى على أي درجة بين المخلوقات العاقلة الموجودة في الكواكب الأخرى يكون الإنسان؟ ... وما مركزه بين هؤلاء الذين يعيشون في الأكوان الأخرى التي لا نعرف عنها حتى الآن شيئا ؟ ... ولو من قبيل الحدس والتخمين ... ؟ إن القرآن الكريم يقول في آياته الشريفة :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً » .

والآية صريحة وواضحة وتقرر أن الله سبحانه وتعالى إنما كرم الإنسان الذي يعيش على هذه الأرض ورزقه وفضله على كثير من خلق الله ... والتفضيل على كثير ممن خلق الله ... لا يعني التفضيل المطلق على كل ما خلق الله ... أي أن الآيـــة الكريمة تشير إلى أن هناك غير الإنسان يقينا من المخلوقات قد فضلهم الله على الإنسان تفضيلا أكبر مما فضل به الإنسان ... فيا ترى أين يعيش هؤلاء ؟ ... وفي أي كوكب ؟ ... وأي كون ؟ .. وما درجة معرفتهم بربهم ؟ ... وطاعتهم له ... وفي أي أنوار يعيشون ؟ ...

وبديهي أن هناك كثرة من المخلوقات تقل عن الإنسان ...

يقف على رأسها ... الشيطان وأعوانه ... والكون الذي يضم الإنسان ويضم هؤلاء الذين فاقوا الإنسان في كل أحواله ... وهؤلاء الذين يتميز عنهم الإنسان في كل حالاته ... إنما يستلزم أمره أن يكون لكل فئة من هؤلاء ... الوجود الذي يناسب ما عليه كل منهم ... ولا يعرف الإنسان أي شيء إطلاقا عن حالة الوجود الذي يعيش فيه هؤلاء الذين يمتازون عن الإنسان . كما لا يعرف حالة الوجود الذي تعيش فيه الشياطين ... وأما الوجود الذي يعيش فيه الإنسان فقد عرف عنه شيئا ويقينا أن ما يعرفه عنه ... هو أقل القليل من حقيقته ... فما يعرفه هو الظواهر والمشاهدات النظرية للأرض التي يعيش عليها ... والشمس التي تلف حولها ... والقمر الذي يشرق ويغرب عنها ... والهواء الذي يغلفها والبحار والمحيطات التي تغمر أغلب جسمها ... فهل يا ترى بالتالي تكون الأرض ... أفضل من كثير من الكواكب الأخرى وأقل من غيرها التي تعيش فيها المخلوقات الأفضل ؟ ... وهل يا ترى فترة الحياة الأرضية ... تكون فترة إعداد للإنسان يتم بعدها الانتقال أما إلى حيث يعيش مع الأفضل منه ... أو مع الأقل منه على حسب عمله ... وإلى زمن الله وحده أعلم به ... فكأن الإنسان إنما يعيش في الدنيا ... وسطا بين حالين ... وفي حياة تتوسط حياتين حياة أفضل من حياته ... وأخرى أقل منها ... وهو بعمله في الدنيا يشق الطريق إلى إحداهما بعد أن كشف الله سبحانه وتعالى له عنهما وذلك بنص مثل الآية الكريمة :

« وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » .

فهل تكون هذه هي حياة البرزخ ... أم قبلها ... ذلك إن صح هذا التعليل واستقام هذا التقدير ... وتكون هذه هي الحياة الروحية قبل البعث ...

وقد يرى البعض أنه لما كان الوجود وحدة واحدة فقد استلزم ذلك وجود الأرض باعتبار أنها إحدى حلقات المجموعة التي تتكون منها مجموعات أخرى تتكون من مجموعها أحد وحدات هذا الكون العجيب ... كما استلزم الأمر قيام الحياة الأرضية وما فيها من أحياء ... ولذلك وجب وجود من يباشر مختلف شئونها ... لذلك خلق الله الإنسان لهذه المباشرة ... ويؤيد ذلك النص الشريف :

« وَإذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إني جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّح بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعلَمُونَ » .

والخلافة معناها تنفيذ كل ما أمر به وأراده الله سبحانه وتعالى ومراعاة اتخاذ كافة الإجراءات التي تحقق الهدف من كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى ... فكل من عدل مع الناس ومع نفسه وكل من سعى في الأرض ليعمرها في أي قطاع من التعمير

وكل من حافظ على حياة الناس وأموالهم وأعراضهم ... فهو خليفة لله في الأرض ... وكل من ظلم الناس أو ظلم نفسه أو سعى في خراب الأرض بأي صورة كان هذا الخراب ... أو قتل نفساً بغير ذنب أو اغتصب ما ليس حقه فقد تمرد على الأوامر وخرج على واجبات الخلافة ... وعن طريق تصرفه في شئون خلافته تكون درجة محافظته على قيام الحياة كما أرادها الله سبحانه وتعالى في الأرض التي هي حلقة مهما كانت درجتها ... في سلسلة وحدات الكون الرهيب والذي يجب أن تقوم فيها الحياة ... بالصورة التي أرادها الله ... فالله سبحانه وتعالى إنما خلق الإنسان خليفة في الأرض ليقوم على شئونها بما أمره الله به ...

وقد يرى البعض أنه كانت هناك حياة سابقة قائمة بصورة ما لا يعرفها الإنسان وفي عالم لا يدركه وعلى درجة لم يرد عنها شيء ... وفي هذه الحياة السابقة كان الوجود كله يعيش فيها عيشة العبادة والطاعة ... كالملائكة ... فمنهم الساجدون سجودا دائما ... ومنهم المسبحون تسبيحاً متصلاً ومنهم الذاكرون ومنهم الراكعون ومنهم المستغفرون .. ولا عمل لهم جميعا غير العبادة الخالصة ... فلما عرض الله جل شأنه عليهم جميعاً ... العقل والمعرفة والتكاليف ... وذلك بأن يمنحهم العقل الذي يعرفونه به ... ويبصرهم بما يرسله لهم من الرسل بالطريق إليه ... ويأمرهم بما يكلفهم به ... وينطلقون بعدها إلى الدنيا ... لتجذبهم بمفاتنها وتدعوهم بمباهجها ويظلون في صراع في

دنياهم بين الأمانة التي يحملونها وبين الخيانة التي يزينها لهـم الشيطان ... كان الإنسان هو الذي قبل أن يحمل هذه الأمانة بعد أن أشفقت من حملها السماوات والأرض والجبال وذلك بنص الآية الشريفة :

« إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ فَأَبينَ أَنْ يَحمِلنها وَأَشْفَقْنَ مِنها وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلوماً جَهْولاً » .

وبذلك خلق الإنسان في الدنيا ومنحه الله سبحانه وتعالى العقل والبصر والبصيرة وأعطاه الادراك ... فهو الوحيد من الكائنات الموجودة في الدنيا والذي يستطيع التمييز عن طريق الفهم والتعقل والإدراك ولذلكَ فإن حسابه على ما فعل إنما سيتم على قدر ما أدرك وبنسبة ما عقل ... وبعد أن أعطي الإنسان العقل وحمل الأمانة وعرف طريق الخير والشر ... كان لا بد من الجزاء ... ولذلك نجد الآية اللاحقة للآية الكريمة السابقة تحمل هذا المعنى وتقرر النتيجة بالنص الشريف :

« لِيُعَذِّبَ اللهُ المنَافِقِينَ والمنَافِقَاتِ والمشْرِكِينَ والمشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى المؤْمِنِينَ والمؤْمِنَاتِ وَكانَ الله غَفُوراً رَحِيماً » .

وهكذا خلق الإنسان في الدنيا وله العقل الذي يدبره ...

وعرف الطريق الذي يجب أن يسلكه ... والطريق الذي يجب أن يبتعد عنه فهي دار اختبار لقدر ما حمل الإنسان فيها من الأمانة وصانها ... وفي ذلك تقول الآيات الشريفة :

« إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمشَاجٍ نَبتلِيه فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كفُوراً » .

وقد يرى البعض أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في الدنيا ليعده إعداداً مناسباً لما سيكون عليه في حياته الأخرى ... وأن الإنسان إنما تتم معرفته على مراحل زمنية متفاوتة ... فكان سابقاً على وجوده الذاتي فيما لا يعرف الإنسان ثم استقر في جنين صغير في رحم الأم لمدة محدودة ثم خرج إلى الحياة الدنيا ليستقر فيها لفترة زمنية معينة بعدها يغادرها إلى الحياة الثانية ... ولما كان التناسب والاتزان هو طابع كل ما خلقه الله ... فإن نسبة سعة الحياة الثانية بالنسبة للأولى هي نسبة الحياة الدنيا إلى رحم الأم ... ومعرفة الإنسان فيها بالنسبة إلى معرفته في الدنيا كنسبة معرفته في الدنيا إلى معرفته في الرحم وهو جنين ... ثم تحدث مرحلة أخرى بعد الحياة الثانية نسبة سعتها ودرجة المعرفة فيها بما يطابق نفس النسبة السابقة وقيل إن هذه مرحلة الانتقال من البرزخ إلى الحياة الخالدة حيث تكون الحياة فيها لا نهائية إذ أن النسبة تؤكد ذلك فعلا وتطبيقا ... وقيل إنها تتم على أكثر من مرحلة من سماء إلى أخرى وكل ذلك إنما علمه عند الله سبحانه وتعالى وحده ولم يخص أحدا من خلقه بشيء من هذا العلم فهذا

القول إنما هو اجتهاد مجتهد يسأل الله فيه المغفرة إن أخطأ أو أصاب ... فالحياة الثانية التي تبدأ منذ الموت إنما هي من الغيب الذي يجب أن نؤمن به كما جاء بلا تفصيل أو توضيح إذ أن العقل في الحياة الدنيا لا يتسع ولا يحتمل أن يفكر فيما هو أعلى منه.وهذا الغيب ... ككل الغيب فوق العقل البشري الدنيوي ... وعلى ذلك فالإنسان إنما خلق في الدنيا ليرى بعينيه آيات وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته التي تشير إلى عظمته وجماله ولطفه ورحمته وبره وعفوه وقدرته فينتقل منها إلى الحياة الثانية وهو على درجة من المعرفة تمكنه من متابعة الحياة فيها بما يشاهد من أسرار أخرى وشواهد عظمى وتتسع أمامه دائرة الملكوت فلا يضل في الطريق ولا يتعثر في المسير . فعن استمرار الحياة في الدنيا والآخرة يقول القرآن الكريم :

« وَلاَ تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبيلِ اللهِ أَموَاتاً بَل أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » .

والآية الكريمة لا تعني كما قد يقول البعض أن استمرار الحياة وقف على من يقتل في سبيل الله فقط ولكنها تعني أن الحياة مستمرة لكل من مات وكذلك الرزق ولكن من قتل في سبيل الله يمتاز عن غيره بالفرح بما نال من الاستشهاد وبالاستبشار بمن يسيرون في طريقهم أن الله سيكتب لهم ما يذهب خوفهم ويمنع أحزانهم وذلك بنص الآيات اللاحقة للآية الكريمة التي توضح وتؤكد هذا المعنى وهي:

« فَرِحِينَ بِما آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ وَيَستَبْشِرُونَ بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِن خَلْفِهِم ألاَّ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ. يَستَبْشِرُونَ بِنِعمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجرَ المُؤمِنِينَ » .

وعن قدر الحياة الآخرة يقول القرآن الكريم :

« وَمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَهو وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

وعن إعداد الإنسان في الدنيا ليشاهد في الآخرة نجد القرآن الكريم يطالب الإنسان بالتمعن في كل ما يزيد من معرفته بربه وذلك بمثل النص الشريف :

« قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِن رَبِّكُم فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيها وَمَا أَنَا عَلَيكُم بِحَفِيظٍ . »

والبصر المطلوب ليس هو الرؤية بالعين ولكنه الرؤية بالقلب أي رؤية الشواهد والأدلة وإيمان النفس بها واطمئنان القلب إليها ... وتصديق الجوارح بها .. وذلك بنص الآية الكريمة :

« أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَتَكُونَ لَهم قُلُوبٌ يَعقِلونَ بِها أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بها فإنَّها لاَ تَعمَى الأَبْصَارُ وَلٰكِن

تَعمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » .

ومن لم يبصر هذه الآيات في الدنيا سيضل الطريق في الآخرة وسيكون فيها كذلك أعمى بل وأضل سبيلا وذلك بنص الآية الشريفة :

« وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً » .

فإذا ندم الإنسان وتأسف وتساءل كيف عميت عليه هذه الآيات فإن القرآن الكريم تولى عنا بيان ما سيجاب عليه في النص الكريم :

« قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرتَنِي أَعْمَى وقَدْ كُنتُ بَصِيراً . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَها وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى » .

ولكن ترى ما هو الهدف من ذلك ؟ . ولماذا خلق الله الإنسان .. ويعده في الدنيا للحياة الأخرى ؟ .. إن الدنيا ليست بذلك هي الغاية ولكن الغاية هي الآخرة .. والآخرة لا سبيل إلى وصفها بالمقارنة مع الدنيا .. فإذا كان الإنسان الذي يرى طائراً صغيراً جميلاً ويرى عناية الله ترعاه في كل شئونه يظل سعيداً طالما هو يتأمل هذا الطائر ويتفكر فيه، وإذا رأى وردة جميلة تخرج من الأرض وهي تتمايل لتتفتح عن أريجها ... وجد الحياة بأجلى معانيها وأبهج صورها وأجمل ألوانها تتمثل

في هذه الوردة ، فكم يحس عندها بالسعادة ؟ . وإذا رأى شمساً تطل في استحياء عند الشروق ... أو تودع في استئذان عند الغروب ... وإذا استمع إلى موج البحر الذي لا يهدأ فهو أبداً في همهمة ... وإذا أنصت إلى الريح الذي لا يصمت عن الحفيف .. وإذا تأمل وتدبر وجد السعادة تغمره .. جارفـــة فياضة .. فيا ترى كم سيكون قدر سعادته في الآخرة بعد أن يرى الشواهد الأوفى والآيات الأكمل .. في الحياة الأكبر .. ؟ إذاً فالقصد هو إسعاد الإنسان إلى أبعد حد .. وأكبر طاقة .. في الدنيا على قدرها .. وفي الآخرة على حسب عظم شأنها ..

فيا ترى هل خلق الله الإنسان لسبب من هذه الأسباب ؟ .. وليحقق هدفا من هذه الأهداف .. أم خلقه لكلها .. أم لغيرها؟

إن كل الآراء إنما تشير إلى غاية واحدة من الخلق .. هو إسعاد الإنسان .. فالله سبحانه وتعالى هو اللطيف ومشيئته هو أن يعم اللطف والسعادة كل الوجود فهذا من صفاته .. لذلك خلق الإنسان أصلا ليسعده في الدنيا .. وفي الآخرة .. وهكذا يكون جل شأنه . إنما خلق الإنسان رحمة منه .. ورحمة به ..

مِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ فِي الدُّنْيَا

لا يمكن للانسان أن يتخيل قدر رحمة الله سبحانه وتعالى به ، إذ أنه يعيش في هذه الرحمة التي لا حدود لها ولا إمكان إلى وصفها منذ اللحظات الأولى لحياته . بل إن رحمة الله جل شأنه إنما تشمل الإنسان قبل خلقه ، فقد أثبت العلم أن التقاء الحيوان المنوي بالبويضة ليتم به تكوين الجنين إنما يتم على صورة بعيدة عن كل الاحتمالات الممكنة وبطريقة لا يمكن للعقل قبولها . وقصة هذا اللقاء كما تابعه العلم عن طريق التسجيل والدراسة المعملية متابعة مستمرة إنما هي قصة تفوق كل خيال؛ ولفرط غرابتها وبعدها عن كل ما هو متوقع فقد أقر العلم بأنه لا يعرف أبداً كيف يتم لقاء الحيوان المنوي بالبويضة ، وماذا يحدث لكل حتى يتم هذا اللقاء، والذي لو ترك طبيعياً ما كان هناك أي احتمال إطلاقاً ليتم هذا اللقاء . وكذلك لا يعرف ولن يعرف سر التغييرات التي تطرأ على الحيوان المنوي وعلى البويضة وعلى النطفة بعد الالتقاء حتى تتكون البويضة المخصبة . إذ أن ذلك إنما يتم بطريقة غامضة وتحيطها أسرار غريبة وتحدث

لذلك تصرفات مثيرة لا يمكن أن يعرف الإنسان عن سرها شيئاً لأن هذا هو سر الحياة . أعجب وأغرب سر على وجه البسيطة بالنسبة للانسان على الأقل ..

فالحيوان المنوي الذي يفرزه الذكر وهو عبارة عن خلية صغيرة الحجم دقيقة الشكل لا ترى بالعين المجردة إطلاقا فجميع الحيوانات المنوية التي تكفي لخلق سكان قارة مثلا لا تزيد في مجموعها عن حجم رأس دبوس صغير .. والخلية لها رأس مدبب وذنب لولبي يبلغ طوله عشرة أمثال الخلية . وتعيش الخلية في سائل خاص يحفظ عليها درجة حرارتها ويمنع عنها أي تأثير من الوسط الذي تنتقل فيه ويحتوي السنتيمتر المكعب من هذا السائل على خمسمائة مليون خلية .. وهذه الخلية تتحرك بسرعة كبيرة جداً بالنسبة لحجمها إذ تبلغ سرعتها من أربع إلى ست بوصات في الساعة فهي بذلك أسرع من الإنسان حتى عندما يتسابق في الجري .. وهذه الخلية بها أربع وعشرون صبغية أو ما يسمى بالكروموسوم .. وهي العوامل الوراثية ..

والبويضة التي تفرزها الأنثى عبارة عن خلية صغيرة دقيقة ولو أنها أكبر من الحيوان المنوي ومستديرة تماما وليس لها ذنب وهي تفرز من المبيض حيث تلتقطها فتحة أنبوبة فالوب التي لها زوائد لتقوم بدفعها بها إلى مجرى الأنبوبة حيث تسير فيه في رحلة طويلة وشاقة تستغرق حوالي الأربعة أيام . وهذه البويضة أو الخلية بها ثمان وأربعون صبغية أو كروموسوم ..

فهي بذلك لا تكون مستعدة للاخصاب لأن البويضة لتكون صالحة لذلك يجب أن يكون بها أربع وعشرون صبغية لتتحد مع الأربع وعشرين صبغية للحيوان المنوي ليكونا معاً خلية واحدة بها ثمان وأربعون صبغية هي الخلية الحية القابلة للانقسام والتكاثر .

لذلك نجد أنه يحدث في البويضة بطريقة غير معروفة ولأسباب مجهولة حركة عجيبة تنقسم بها البويضة إلى قسمين أحدهما كبير والآخر صغير .. وبكل قسم أربع وعشرون صبغية .. وبأسرار غامضة يتلاشى القسم الصغير تدريجيا إلى أن ينعدم تماما .. كيف ..؟ لا يعرف العلم عن ذلك شيئاً .. وأما القسم الكبير فإنه يعد ويهيأ ليلتقي بالحيوان المنوي ليكونا معاً خلية كاملة يبدأ منها الإنسان الحي . إذ يخترق الحيوان المنوي عنق الرحم ثم تجويفه إلى أن يلتقي بالبويضة في البوق الموصل بين الرحم والمبيض ثم يعودا سويا بعد الالتقاء إلى الرحم لتتعلق النطفة بجداره .

ويقرر العلم أن اتفاق الموعد الذي يتم به الالتقاء بين الحيوان المنوي والبويضة وإمكان هذا الالتقاء بالرغم من طول الطريق الذي يجب على كل أن يسلكه خلال مجاري الأنثى التناسلية حتى يلتقي الحيوان المنوي بالبويضة رغم المخاطر الرهيبة التي تعج بها هذه المجاري لأمر يجعل الإنسان في حيرة أشد الحيرة من هذا الذي يتم . فلو نزل إنسان على حدود جمهوريتنا شمالا وآخر على حدودها جنوبا وسارا على غير هدى وقد عصب

كل منهما عينيه فاخترقا الصحاري على ما فيها من ضواري ووحوش ، وعبرا الأنهار بما فيها من صعاب وأخطار ، ومرت عليهما الليالي وتتابعت الأيام .. ليلتقيا وجها إلى وجه بعد شهور وأعوام في منزل قد خصص لهما دون غيره . وفي وقت واحد بدون عجلة من احدهما أو ابطاء منه .. لكان ذلك أكثر احتمالا وأقرب منالا من التقاء الحيوان المنوي بالبويضة .. ولو تم ذلك اللقاء بين هذين الفردين مرة ترى هل يتم مرة أخرى .. وبنفس النجاح ؟.. فكيف الحال واللقاء يتم بين الحيوان المنوي والبويضة لكل إنسان خلق ؟.. فكم مرة يتم اللقاء إذن ؟.. إن عدد البشر حاليا هو ثلاثة آلاف مليون نسمة . فكم يبلغ عددهم منذ خلق الإنسان ؟ وكم يبلغ هذا العدد إلى نهاية الحياة !.. إنه نفس العدد الذي يتم فيه اللقاء بين الحيوان المنوي والبويضة وكلاهما دقيق ورقيق .. في مجاهل شاسعة وميادين واسعة وظروف غير مناسبة .. أليست هي رحمة الله .. بهذه الدقائق التي تهديها سواء السبيل وتقودها إلى خير الطريق .. ليتم تكوين الإنسان .. أو ليس الإنسان بذلك إنما يخلق أصلا برحمة الله ..

وبعد أن يتم إخصاب البويضة تحدث موجة نشاط غير عادي تنقسم به البويضة إلى خليتين ثم إلى أربع وهكذا إلى أن تنقسم الخلايا خمسين مرة فقط .. وقد يكون من الصعب أن يصدق الإنسان أنه بانقسام الخلية خمسين مرة يكون قد حصل الكائن البشري على ثلاثين ألف مليون خلية هي التي تكون جسمه .

ويتعجب الإنسان الذي يرى كيف يتغذى الجنين منذ لحظاته

الأولى ولا يجد الجواب الشافي لما يسأل إلا أن رحمة الله قد شملت الإنسان منذ أول لحظاته كما شملته قبل خلقه .. فبعد أن تخصب البويضة وتنقسم لتكون مضغة صغيرة من الخلايا وتحتاج إلى غذاء في هذا المكان البعيد جداً عن أي مصدر من الغذاء نجد أنه قد تكونت بطريقة غامضة مثيرة كذلك على المحيط الخارجي لتلك الكرة الصغيرة طبقة مغذية تسمى بالغلاف الأكال أو التروفو بلاست الذي يأكل من يصادفه من الأنسجة ويمتص هذا الغلاف أيضاً الأكسجين والماء والدم ويرسله غذاء مهضوما خلال الأوعية الدموية في الحبل السري لهذه المضغة .. أي أن دم الأم لا ينتقل إلى الجنين قط رغم الاعتقاد الشائع الخاطىء أن الأم تغذي جنينها بدمها عن طريق الحبل السري .. إذ أن غذاء الجنين إنما يتم عن طريق الغلاف الأكال الذي يحيط به فهو طريق غذائه وأصل مائه .. فرحمة الله سبحانه وتعالى قد شملت الجنين وهو لم يزل بويضة مخصبة فخلق له من العدم جهازاً خاصاً يعد له طعامه بما يلائم حاله ويحتاج إليه أمر استمرار حياته .. وينمو هذا الغلاف ويستدير ليكون ما يشبه العش لهذه البويضة المخصبة في جدار الرحم وهذا أعجب ما قد يـــراه الإنسان في الحياة .. ولكنها رحمة الله بالإنسان وهو لم يزل بويضة مخصبة في أول لحظاتها تجعله يسكن في عش لا ليحفظ عليه حياته بل ليغذيه .. وما أعجب لو تخيل الإنسان المثل لذلك. إذ يجد نفسه وقد سكن في منزل جدرانه وسقوفه وأرضه تقدم له الفاكهة والخضر والخبز واللحوم واللبن والماء وكلها معدة

ومهيأة في أحسن صورها .. وأشهى ألوانها .. وأجمل صنعها . وأيسر حالات هضمها .. فهل تستطيع أن تتخيل بدلائ قدر رحمة الله .. على الإنسان وهو لم يزل في بداية خلقه ؟

وبعد ذلك نجد أن البويضة بعد انقسامها عدة مرات تأخذ شكلا عجيبا وغريباً على المتأمل إذ يتكون منها جسم متكهف يحتوي على كهفين مستديرين الواحد فوق الآخر . وبين الكهفين صفحة رقيقة مزدوجة تسمى بالقرص المضغي .. ولا بد أن يعتقد الإنسان أن من الكهفين أو على الأقل من أحدهما يتكون الجنين ولكن الحقيقة أن الجنين لا يتكون منهما .. ولا من أحدهما .. وإنما يتكون من الصفحة الرقيقة التي تفصل بين الكهفين .. أما الكهف الأدنى فيتكون منه حويصلة صغيرة فارغة تسمى بالكيس الصفاري وهذا الكيس ينفصل في الشهر الثاني من المضغة ولا يعرف أين يذهب وما هو دوره وما زال العلم يجد في البحث لعله يهتدي .. وقد لا يهتدي .. وأما الكهف الأعلى فتنشأ منه قربة تمتلىء بالماء وتحيط بالمضغة إحاطة كاملة عدا مكان اتصالها بالحبل السري وتكون هذه القربة هي الواقية للمضغة من أية صدمات قد تصدم بها الأم أو أي رجات قد تصيب المضغة فهي التي تحفظ المضغة وعليها تفنى أي إصابة خارجية قد تصيب الجنين بل تفنى كذلك الهزات الكثيرة التي تنشأ عن حركة الأم إذ أن مجرد نزول المرأة الحامل من فراشها أو حتى تقلبها فيه يعرض الجنين للسقوط من الرحم يقينا لولا رحمة الله به التي تتجلى مظاهرها في هذه القربة التي تحيطه إحاطة

تامة ليسبح داخل غلافها المائي فتجعله بمعزل تام عن أي مؤثر خارجي يضره . ويقرر العلم أنه لولا هذه القربة التي تحيط بالمضغة ما تم اكتمال حمل امرأة إطلاقا .

وبعد أسبوعين من إخصاب البويضة تمتزج بعض الخلايا لينشأ منها ما يشبه الأنبوبة في رأس القرص المضغي وتتحور هذه الأنبوبة .. لتكون نقطة صغيرة ... وفي لحظة حاسمة محددة تسري خلال هذه النقطة هزة خفيفة ... ما سببها .. وكيف تنشأ .؟ لا يعرف العلم .. ولن يعرف .. هذه الهزة تعقبهــا أخرى ... فورا .. إحداها تقبض والأخرى تبسط .. إنها خفقة القلب الذي بدأ كأول ما يبدأ من أجهزة الجنين ليظل يخفق طول الحياة .. ولا ينتهي عن الخفقان إلا إذا ما تقرر انتهاء الأجل . ويستمر الجنين في التكوين جهازاً مع آخر ... وعضوا مــع غيره ..

ويمر الإنسان بعدة مراحل أثناء حياته الجنينية يتغير فيها شكله أكثر من مرة تغيراً كثيراً وتختلف فيها أعضاؤه اختلافا كبيرا فمن بويضة إلى علقة إلى مضغة غير واضحة الشكل إلى كائن ذو طرف دماغي وآخر ذنبي وله ظهر وبطن ولكن بلا أذرع أو سيقان وبلا وجه وبدون عنق قد التصق قلبه بمخه .. ترى أي شكل يكون ؟.. على كل فإنه مظهر غير بشري بالمرة .. وفي نهاية الشهر الأول يصبح الكائن وقد التف بعضه على بعض ليصبح شكله دائريا وله ذنب قصير وأزرار صغيرة

على جانبه هي منابت الأذرع والسيقان على ناحيتي العنق نجد شقوقاً أربعة أشبه في عملها بخياشيم السمك ويقال إنه أقرب ما يكون من فرخ الضفدع أكثر مما يقرب من الإنسان .. وفي نهاية الشهر الثاني يتخذ الجنين سمات الإنسان ولا يفرقه عنه إلا الذنب الطويل والعينان اللتان توجدان على جانبي الرأس والجبين البارز وفتحة الفم الكبيرة وابتعاد إحدى فتحتي الأنف عن أختها .. ثم يبدأ الجنين يتحول إلى الجمال الشكلي شيئا فشيئا ويتحدد جنسه ذكرا أو أنثى ويتغير الواحد عن الآخر إلى أن يكمل نموه فيصبح شكل الإنسان .. ولقد حاول العلم جاهداً على ممـر مئات السنين أن يقف على أسباب هذا التحول .. فلم يهتد .. قيل إن هذا التغيير إنما يحكي تاريخ الجنس البشري في حياتـه الأرضية ويستند إليه أصحاب آراء التطور .. وإن هذا إنما هو سجل حي له .. ولكن هل عاش الإنسان فترة في البحرفاستعمل لذلك خياشيم .. وهل .. أسئلة كثيرة وآراء عديدة لا تؤيد هذا الرأي ... وقيل إن ذلك إعداد لهذا الكائن لأن يتغذى على كافة الأحياء التي مر بها .. فيمكنه وهو إنسان أن يتغذى على وحيد الخلية وعلى عديدها وعلى الأسماك وعلى الحيوانات الثدييـة الأخرى .. ولكن أليست هي رحمة الله بالإنسان التي تجعله يمر بهذه الأطوار ثم يخرج إنسانا في أجمل صورة وأحسن تقويم ... وأكمل إبداع ... في الخلق ... وفي التكوين .. ولنعرف بعض قدر رحمة الله .. لننظر إلى هذه الفتاة التي حسن منظرها ويطيب للنظر رؤيتها أو إلى هذا الشاب المكتمل الرجولة الجميل التكوين.

ثم لو قدر للانسان أن يعرف على أي شكل كانت أو كان في الرحم لعرف قدرة الله ... وإنها لقدرة عظيمة ... تتصف بالرحمة الواسعة ..

وتنتهي مدة الحمل لتبدأ عملية الوضع ولا يمكن للانسان أن يجد أي تعليل لكل ما يتم ... إذ أنه كله فوق ما يستطيع العقل أن يدركه أو يتخيله .. إلا أنها رحمة الله بالأم وبالجنين . فهذه الأم تحمل في داخلها جنينها وإنه لحمل كبير وثقيل .. ونحن نرى أن الإنسان أي إنسان امرأة أو رجلا لينوء بحمله إذا ما حمل بضعة أرطال لبعض يوم . وإذا كان ما يحمله شيئا غالياً أو معدناً نفيساً فإنه يزيد من تعبه إذ حرصه عليه يضيف إلى التعب الجسدي الانزعاج النفسي .. فكيف يا ترى نجد الأم وهي تحمل جنينها وهو أغلى ما عندها في حياتها لمدة تسعة أشهر متواصلة .. فإذا ما وضعته أحست بالفراغ داخلها .. وأسفت للخواء في بطنها .. وتتمنى لو تعود إلى الامتلاء مرة أخرى .. وقد يعتقد الإنسان لذلك أن الوضع إنما هو عملية هينة أو يسيرة .. وإنها حقاً لكذلك على من تلد ولكنها من الناحية العلمية والبيولوجية أمر لا يستطاع .. ولا يحتمل .. ولا يمكن أن يتم ولا يجد العلم أي تعليل لاحتمال المرأة عملية الوضع إلا أنها رحمة الله بهـا وبجنينها .. هذا الجنين الذي يزيد على ست عشرة بوصة طولا وعلى خمسة أرطال وزناً يخرج وهو بهذا الحجم والوزن والطول منها ويظل وهو خارجها متعلقاً بها متصلا بالمشيمة المستقرة بجدار الرحم بالحبل السري إلى أن يفصلا من الجنين

ولكن يظل مكان الاتصال باقياً بل وظاهراً طوال الحياة وكأنه بصمة الزمن على شهادة اليقين برحمة الله الواسعة .

ويعترف العلم أن الدافع الأساسي الحقيقي لعملية الوضع لازال مجهولا حتى الآن ويعتقد أنه سيظل كذلك ... بل إنه وقف حائرا أمام هذه الانقباضات العضلية البطيئة المتوالية التي تسبق الولادة بعدة أشهر ما سببها ..؟ وما غايتها ...؟ ثم نجد العلم يخر ساجدا لله ... معترفا برحمته أمام تلك الحركات العضلية العنيفة التي تطرد الجنين طردا صحيحا مقصودا بحيث تقوم بتغيير وضعه إلى الوضع المناسب لخروجه ثم تدفعه دفعا متزنا يخرج به إلى الحياة ... وبعد الدراسات العملية والمشاهدات النظرية لعمليات الحمل والوضع يقرر العلم أن تكوين الجسم الإنساني داخل الرحم شيء غامض يفوق فهم البشر ... وأما ولادته فهو أمر خارق للعادة ... لا يستقيم مع ما نعرف ... وأنه يمكن أن توضع الولادة في مصاف المعجزات التي قام بها الأنبياء والرسل ولو أنها تتم في كل إمرأة .. فهل تعتبر كل ولادة لإنسان وكأنها معجزة حية خالدة تدل على وجود الله ... وتشير إلى رحمته ؟... وتخرج المرأة من حملها أسعد ما تكون ... وترجو لو تحمل مرة ثانية ... وتضع مرة تالية ...

وفجأة ينزل اللبن ... إلى ثدي الأم ... ترضع به طفلها ... كيف نزل ... وكيف تكون ... وأين كان ؟ لا يجيب العلم ولكن الدين يقول إنه رحمة من الله ... وحقا ... وصدقا ...

ويتغير اللبن ... كمية ... وتركيزا حسب حاجة الرضيع ... كيف أيضا ؟... لا إجابة إلا أنها رحمة الله ... وتنتهي حاجة الطفل منه ... فيرفع اللبن ... ويباشر عمليات الغذاء العادية ...

ومنذ اللحظة التي يضع فيها الإنسان غذاءه في فمه بل وقبلها تحدث في الجسم عمليات متعددة آية في الغرابة وغاية في العجب ... فمجرد أن يمسك الإنسان بيده قطعة من الغذاء أو يرى بعينه مائدة الطعام أو حتى عندما يشم رائحة الأكل تبدأ غدد خاصة في الفم في إفراز اللعاب ... لتبدأ عملية الهضم وليعادل حالة الطعام ويوازن بين حرارة الغذاء وقدرة الجسم عليه. بل وقرر الطب أخيرا أن الطعام بلا لعاب يجعل من المتعذر بلعه ... ثم يسير الطعام في طريقه المحدد وفي كل منطقة يلتقي بإفرازات وأحماض أعدتها أجهزة يقول الطب عنها إنها أدق وأخطر وأعجب ما يمكن أن يخطر على بال إنسان ... وأن أدق أجهزة كيمائية أو ميكانيكية أو ذرية لا يمكن أن تصل إلى مستوى أجهزة الجسم الهاضمة من ناحية الدقة أو التوقيت أو المواءمة بين مختلف الأجهزة بعضها وبعض ... بل إن من بين هذه الأجهزة ما يقوم بعمل وعكسه تبعا لحاجة الجسم. وهذا ما يبعث العجب ويثير الدهشة ... فالكبد مثلا يحول الجلوكوز وهو ما ينتج من هضم المواد النشوية والسكرية إلى نوع آخر من السكريات يسمى الجليكوجين ليخزنه في خلاياه. فعلى هذه الحالة السكر لا يتلف أو يفقد أو يتغير بالتخزين . وعندما يحتاج الجسم إلى سكريات يحول الكبد الجليكوجين مرة أخرى إلى

جلوكوز ويرسله عبر أوعية وعن طريق الدورة الدموية إلى مختلف الأنسجة ... كيف عرف الكبد ؟... وكيف يقوم بذلك ؟... وما هي المادة التي يفرزها لتحول الشيء إلى آخر ثم تعيده إلى أصله مرة أخرى ؟... لا يعرف الإنسان إطلاقا مثلها ... إلا فيما يتردد في قصص الجان والسحر ... إذ يمكن للجان أن يحول الخشب إلى ذهب ثم يعيد الذهب إلى الخشب ... بالسحر حسب حاجة من يستخدم الجان ... وما حدث ذلك أبدا وما تم إلا في خيال من يحكي ولا يحكيه إلا للأطفال، وفقط قبل سن الادراك والمعرفة ... وليس الكبد هو الجهاز العجيب في الجسم فقط بل ما أكثر ما يشبهه فيه ...

ولقد قرر الأطباء والعلماء أنهم لا يعرفون شيئا عن طرق العمل في جهاز الهضم المتكامل الأجزاء المتتابع الحلقات إلا أنه كوحدة كاملة يهدف إلى هضم الطعام بحيث يتغير ما يأكله الإنسان من مواد معقدة وصلبة إلى أخرى سهلة ذائبة قابلة للامتصاص ... فيمتصها الجسم بطريقة تعتبر أغرب وأعجب من هضم الطعام ... وأن كل ما يمكن الجزم به أن هذه إنما هي رحمة الله بالإنسان ... والحق ... إنها أثر من رحمة الله إذ ما أوسع رحمة الله التي تفوق ذلك . وتزيد عليه وتشمل ما نعرف وما لا نعرف ...

ولا يمكن للانسان أن يحيط بكل ما في الجهاز الهضمي من بدائع وروائع . حتى ولو اكتفى بالأجزاء الرئيسية فيه ....

والحديث عن هذا الجهاز يحمل الإنسان إلى الأجهزة الأخرى في الجسم ... وما أكثرها كالجهاز الدوري والتناسلي والعضلي والعصبي وأجهزة السمع والبصر والذوق وغير ذلك وكل منها يفوق في أعاجيبه وغرائب عمله ... جهاز الهضم ولا يقتصر المجال هنا إلى الإشارة إلى بعضها ... وقد سبق ذكر أمثلة لما تقوم به بعض هذه الأجهزة في أبحاث سابقة .

ولا تقتصر رحمة الله بالإنسان في ميدان غذائه على هضم طعامه بتلك السلسلة العجيبة من الأمور الغريبة التي تتم في الجسم وإنما تتعدى ذلك إلى مجالات أوسع ... وميادين أكثر ...

فالإنسان الأول عاش على الأرض هو وزوجه فوجد فيها ما يكفي غذاءهما ثم أنجبا ... مرة ... ومرات ... ومر بالحياة الأرضية من البشر ما لا يمكن التكهن بعددهم ... فعدد الأحياء حاليا حوالي ثلاثة آلاف مليون نسمة . إذا أضيف إليهم عدد من ماتوا منذ آدم إلى الآن فكم يبلغ عدد الذين عاشوا على الأرض منذ أن وجدت حتى الآن ؟ لكل إنسان أن يختار الرقم الذي يعتقده ... بعد أن يتكهن بعدد السنين التي عاشها الإنسان على الأرض ... وإنه لرقم رهيب يقينا ... فمثلا قد عثر العلماء أخيرا على بقايا إنسان عاش منذ مليون ونصف مليون سنة... فكأن الإنسان عاش على الأرض أكثر من مليون ونصف مليون سنة فأي عدد ذلك الذي يحدد البشر الذين عاشوا على الأرض ؟... هؤلاء ... جميعا ... وجدوا في الأرض ما يكفي لغذائهم ...

كيف ؟... لا يعرف الإنسان ... وذلك على الرغم من أن الأرض لا تجدد من خارجها ما يفقد منها إطلاقا ... فظلت تزرع ... فتأخذ النباتات من أملاحها ما يكفي للنمو والإثمار ... سنة ... ثم عشراً ... فألف سنة ... ثم مليون ... وأكثر من ذلك ... وما زالت الأرض تزرع ... وأبدا ستظل كذلك ... ألم تنفد أملاحها وعناصرها ؟... كيف ... وهل جاءها منها بشيء من خارجها ... من القمر ... أو المريخ ... أو كون آخر ليعوض هذا الفقد ... يقينا لا ... إذن كيف أن الأرض التي عاش عليها فردان ووجدا بها غذاءهما ... أصبحت تكفي لا لأضعافهما ... أو أضعاف الأضعاف ... بل للملايين الملايين من الإنسان وكأنها اليوم بإمكانياتها وإنتاجها خلقت حديثا ... أو أن من عليها الآن ... هم أول من يأخذ منها الغذاء والإنتاج فهي تعطيهم أول خيرها ... وباكورة إنتاجها أليس ذلك بالأمر العجيب ؟.. وأليس ذلك يخالف كل ما يمكن أن يعرفه الإنسان من قوانين ويشاهده من تجارب ... ولكنها رحمة الله أو إن شئت الدقة إنها آثار رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان ... إذ ما أوسع رحمته ... وما أكثر الميادين التي يمكن للانسان أن يلمس آثار تلك الرحمة فيها ... وإن كانت تختص بغذاء الإنســان فقط ...

فالإنسان يجب أن يتناول الغذاء لأكثر من سبب ... فهو في حاجة إلى النمو أو إلى بناء وتجديد خلايا جسمه وهذا لا يتأتى إلا بالغذاء ... كما أن من أهم أغراض الغذاء الحصول على طاقة

نتيجة احتراق الغذاء في الجسم ... وشأن الإنسان في ذلك شأن السيارة التي لا بد لسيرها من أن تزود بالبنزين الذي باحتراقه تتولد عنه طاقة تحرك آلاتها ثم تنتقل الحركة إلى عجلاتها فتسير . فالغذاء باحتراقه في جسم الإنسان يولد طاقة حرارية عن طريقها يتحرك ويفكر ويعمل ... بل إن أقل حركة يأتيها الإنسان والتي لا يكاد يحسها تحتاج إلى طاقة حرارية تزيد على طاقة احتراق البنزين ليدفع بسيارة كبرى تدخل في منافسة لسباق السيارات... كما أن الطعام يحفظ كفاية أجهزة الإنسان فهناك غدد في الجسم لا بد لها أن تشتغل عن طريق إفرازاتها ولا تستمد محتويات إفرازاتها إلا من الطعام ... وكذلك فإنه يساعد الجسم على القيام بوظائفه عن طريق حفظ صحته ووقايته من بعض الامراض والعدوى ويتم ذلك بواسطة ما يحتويه الغذاء من فيتامينات . كما أن بالطعام الذي يأكله الإنسان نسبة من المواد التي لا يستفيد منها الجسم في الغذاء بل تعتبر في نظر الشخص العادي مواد ضارة كالألياف الخشنة ولكنها تلزم الجسم للمساعدة في تخلصه من فضلاته ... هذا علاوة على أن الطعام عامل أساسي في تنظيم حرارة الجسم وتسيير حركة أجزاء الجسم بعضه مع البعض الآخر .

والمواد الغذائية التي يتناولها الإنسان هي المواد الكربوئيدراتية أي التي تتكون من كربون وماء وهذه إما سكرية أو نشوية ... والمواد الدهنية وهذان النوعان يمدان الإنسان بالطاقة ... وهناك المواد البروتينية اللازمة لبناء الجسم ثم الاملاح المعدنيةوالفيتامينات.

وكان من الممكن جدا بل من السهل أن يحصل الإنسان عـــلى حاجته إن كانت كلها من النبات من صنف واحد ... أو منبع واحد ... أو من نوع واحد من الحيوان لو كان أصله سيكون حيوانيا ... ولكن هل يمكن للإنسان أن يحصر الأصناف والأنواع التي خلقها الله سبحانه وتعالى ليحصل منها الإنسان على حاجته من الغذاء ... هذه الحاجة الضئيلة الصغيرة ... التي يتعجب الإنسان لو عرف مقدارها ... ويندهش لو قارن بينها وبين ما يأكله فعلا ... فأي إنسان عادي يتناول في وجبته العادية مهما قلت كميتها أضعاف أضعاف ما يحتاجه منها فعلا ... والباقي يتخلص منه الجسم في فضلاته بعد أن يجهد في هضمه وتحويله ...

فهذه الحبوب الكثيرة الأصناف كالقمح والشعير والذرة والأرز والقرطم وكل صنف منها له عدة أنواع والخضر التي منها السبانخ والخبازي والرجلة والكرنب والقنبيط والخس والباميا والملوخية والفاصوليا واللوبيا والبسلة والباذنجان البلدي والرومي. الاسود والابيض والجزر والخرشوف والبنجر والبطاطس والبطاطة والقلقاس والفجل واللفت والخيار والقثاء والكوسة والبصل والثوم والطماطم والبقدونس والجرجير وما لا سبيل إلى عده .

والفاكهة التي منها البرتقال والنارنج واليوسفي وجريب فروت والأناناس والشليك والتوت والتفاح والكمثرى والعنب والبرقوق والكريز والعناب والبطيخ والشمام والخوخ والمانجو والتين والمشمش والقراصيا والوشنة واللوز والجوز وجوز الهند

والبندق والفستق ومئات غير ذلك نعرفها ولا نعرفها .

واللحوم ومنها لحم الضأن والبقر والدجاج والرومي والحمام والأرانب والبط والأوز وطيور الصيد والأسماك التي لم يصل الإنسان بعد إلى معرفة عدد أنواعها .

هذه أمثلة لما خلقه الله سبحانه وتعالى من مئات الأصناف والأنواع للمصادر الرئيسية لغذاء الإنسان لو تأملها لوجد أن من بين هذه الأصناف ما يتشابه بعضها من بعض إلى درجة كبيرة قبيل النضج وكذلك بعده ... كالقمح والشعير ... والبرتقال واليوسفى ... والبطاطس والبطاطة .. والسبانخ والرجلة ... ولكنها تختلف عن بعضها البعض في طعمها ... ورائحتها اختلافا كبيراً واضحاً .

فهل هذا التنوع العجيب وهذا الحشد الغريب من الأصناف والأنواع إلا لإسعاد الإنسان ولذته إلى أكبر طاقة وأقصى حد... وأعظم قدر. ولا تتميز هذه المصادر بالشكل دون الرائحة ... ولا بالشكل والرائحة دون الطعم ... ولكنها تمتاز بكلها ... وتختلف فيه كلها ... فالتفاح مثلا يمتاز بشكله الجذاب ولونه البراق ... وطعمه الجميل ... ورائحته اللطيفة ... والمانجو كذلك ... ولكن ما أوسع الفارق بينهما فكلاهما له رائحة جميلة ولكنها مختلفة بينهما اختلافا جوهريا ... وطعم كل منهما لذيذ ... ولكن كل طعم يغاير الآخر مغايرة تامة وكذلك العنب والتين بل البرتقال واليوسفي وهما قريبا الشكل جدا ... ومن الحمضيات

ونجد أن طعم كل منهما يختلف عن الآخر وكذلك الرائحة ...
وأيضا التوت والشليك ... وهكذا ...

يا ترى هل تم ذلك إلا رحمة من الله بالإنسان ... الذيأراد سبحانه وتعالى أن يشمله برحمته فيوفر له السعادة المطلقة فهيأ له من الغذاء الأصناف والأنواع الكثيرة التي تضم عديد الألوان ومختلف الطعوم وشتى الروائح ... وكلها إنما لتساعد الانسان على أن يقبل على غذائه بنفس تواقة ورغبة جياشة .

وهل فكر الإنسان منا مرة ... لو كانت رائحة هذه المواد الغذائية أو شكلها ... أو طعمها ... كغيرها من المواد ... التي خلقت منها ... كالتراب مثلا ... أو المواد العضوية العفنة ... أو المياه العكرة ...ولا يكون هذا غريباً . فمن هذا التراب وهذا الماء ... وهذه المواد العضوية خرجت هذه النباتات ذات الألوان الزاهية والطعوم اللذيذة والرائحة الجميلة ... يا ترى كيف كان يأكل الإنسان ... وهل يقبل على الغذاء ... أو يلبي دعوة نفسه مهما جاع ؟...

وهل فكر الإنسان لو كان طعامه قد اقتصر على صنف واحد أو نوع معين من هذه المصادر العديدة من الغذاء هل كان يشعر باللذة التي يحس بها عندما ينتقل في غذائه من طعم إلى آخر ومن شكل إلى غيره ومن لون إلى لون مخالف ... فهذا حلو ... وذلك أشد حلاوة ... وهذا لاذع وذلك حار وآخر بين هذا وذاك ... بل إن للحلو عدة أصناف تفوق الحصر ولكل صنف

منها أنواع عدة وهكذا ... وألا نحمد الله سبحانه وتعالى على واسع رحمته بالإنسان والتي من آثارها ما أنعم به جل شأنه على عباده بهذا التنوع في الأشكال والألوان والروائح والطعوم بحيث أصبح غذاء الإنسان متعة ما بعدها من متعة وسعادة يحس بهـا الإنسان في نفسه وحتى إذا رأى غيره في طعامه يراه يقبل عليه متأملا ... متنعما ... متلذذا ...

ومن رحمة الله بالإنسان في ميدان غذائه أن أوجد له في كل بيئة من الأصناف ما يناسب حاله فيها ... وييسر له سبيل الحياة بها ... فنجد مثلا الخضروات المعينة والفواكه المحددة تنمو في المناطق المعتدلة ... بينما تنمو غيرها في المناطق الحارة ... وأما المناطق الباردة فلها أصنافها المميزة لها ... القاصرة عليها ... ويقرر العلم أن ذلك التخصيص إنما يستهدف صالح الإنسان نفسه ويحقق الفائدة المكتملة له .. والمتأمل لهذه الأصناف يشهد أثرا كبيرا لرحمة الله بالإنسان فمثلا في الصحراء حيث يقل الماء ويصبح هو المطلب الوحيد للانسان نجد أن نباته بعكس ما يعتقد الإنسان . فالظروف الجوية والبيئة الصحراوية تحتم على النباتات أن تكون جافة نوعا أو قليلة الماء وعلى أحسن الاحتمالات تكون مشابهة لتلك التي تنمو في المناطق العادية . ولكن رحمة الله بالإنسان تجعل هذه النباتات تخالف كل ما يتوقعه أو ما يجب أن تكون عليه تبعا لظروفها إذ نجدها كلها نباتات مائية وكأنها إنما كانت على هذه الصورة لتسد حاجة الإنسان من الماء . فمثلا التين الشوكي ثماره وأوراقه توجد بها نسبة كبيرة من الماء ..

ونبات الصبار البرميلي الذي سمي كذلك إذ يتميز بوجود ما يشبه البرميل على النبات فوق سطح الأرض وهذا البرميل مجعد السطح ويتكون من سلسلة من البروزات الدائرية العديدة .. وهذا الجزء من النبات حقيقة هو برميل من ماء في الصحراء يرد لهفة قاطع الصحراء أو العابر الذي نفد من زاده الماء ... ونجد في عجائب هذا النبات ما يشير حقا إلى رحمة الله بالإنسان الذي يعيش أو يمر في الصحراء ... فعقب نزول المطر ينتشر عدد من جذور هذا النبات يبلغ الألف في دائرة واسعة أكثر مما يتصور الإنسان الذي يعرف حجم هذا النبات وتمتص هذه الجذور قدراً عظيما من الماء أو الرطوبة التي تكثفها الجذور وتحولها إلى ماء وينتقل بسرعة إلى الجزء من النبات الذي يشبه البرميل وتسمح الزوائد الدائرية عندما تتفتح بزيادة حجم البرميل حتى يتسع لمزيد من الماء ... ولا يقتصر عمل الزوائد على التحكم في حجم البرميل بل إنها تقوم بكسر حدة الشمس إذ عن طريقها لا تسقط أشعة الشمس مباشرة وعمودية على البرميل وبذلك فان ما في هذا البرميل من ماء لا يخشى عليه من الفقد عن طريق التبخير أو النتح كما أننا نجده رطبا وليس حارا كما يتبادر إلى الذهن ... ألا يعتبر هذا النبات حقا كنز من ماء في مكان يعتبر الماء أعز مطلب فيه للانسان . وأليس ذلك من رحمة الله بالإنسان ؟.
ويوجد بالصحراء أيضا نوع آخر من الصبار عبارة عن عصي جافة يبلغ طول الواحدة منها حوالي مترين ... وهذه العصي لا يلحظها الإنسان نهاراً ... ولكن إذا غربت الشمس ودخل الليل

وأحس الإنسان في هذه البقاع الموحشة من الصحاري بالوحدة وانقطاع الحياة فيها نجد أنه قد تفتحت في هذه العصي الجافة أزهار كثيرة زاهية اللون عطرة الرائحة إلى درجة تملأ الجو برائحتها ولونها ولذا يسميها البعض ملكة الليل واسم هذا النوع من الصبار هو صبار الشموع إذ يقوم بما تقوم به الشموع في الليل البهيم .

وقد يعتقد البعض أنه لما كانت الصحاري كلها متشابهة في ظروفها فإن نباتاتها كلها واحدة ... ولكن الحقيقة أن لكل صحراء من الصحاري نباتات مميزة بها ولذا تسمى بعض النباتات بالنباتات الدالة إذ يدل كل صنف منها على صحراء بعينها ... فلا يضل الإنسان أو تختلط عليه صحراء بغيرها ...

وإذا تركنا الصحاري وانتقلنا إلى جهات مضادة تماما ... مثل المناطق الشديدة البرد أو المتجمدة نجد اختلافا بينا ... ففي هذه المناطق نجد أن كل ما بها من مواد غذائية إنما تتميز بالدسامة التركيز وأنها تعتبر المنابع الرئيسية للحرارة والدفء.وإنسان وهذه المناطق لا يحتاج إلا إلى ذلك ... وقد يكون من غير المتوقع أن تنبت محصولات في أصقاع تحتجب الشمس عنها شهورا بأكملها ؛ لكن والواقع أن أرض هذه المناطق تعتبر أكثر أراضي العالم خصوبة وتتميز عن غيرها بخلوها من الآفات وأمراض النباتات وهكذا تخرج النباتات بلا إصابة أو أمراض فلا يجف منها شيء ولا يموت منها كثير أو قليل لتكفي حاجة إنسان هذه

المناطق ... علاوة على أن أساس الغذاء فيها هو جمل البحر والحوت وغيرها من الأسماك أو الحيوانات الخاصة بها والتي تحتوي على نسبة عالية من الدهون والزيوت التي تعتبر المصادر الأساسية للطاقة الحرارية للانسان ...

ومن الأدلة التي تؤكد أن تنوع النباتات باختلاف مناطق إنتاجها إنما هو أمر قد تم عن قصد وتدبير وأنه يهدف إلى صالح الإنسان نفسه ما نراه من انتشار أمراض النباتات واستفحال خطورتها وذلك بعد أن قام الإنسان بنقل نباتات مناطق إلى أخرى فتأثرت النباتات بتلك التي نقلت إليها ... مما نلاحظه في كثير من الآفات التي عمت بحيث أصبح العالم كله يعاني من أضرارها الشيء الكثير ... ولو أن الإنسان لم يتدخل في الأمر وترك النباتات في مناطقها التي خلقها الله فيها أصلا .. لكان الإنتاج العام أجود وأكثر . ولكفى كافة احتياجات بني الإنسان.

وكذلك من الأدلة القاطعة على أن هذه النباتات إنما خلقها الله لسد حاجة الإنسان الكاملة وحمايته الحماية التامة ومواجهة ظروفه المختلفة في كل بيئة وأي بيئة ... ما يقرره علم الأغذية في أحدث ما وصل إليه من أبحاث من أن طعام الإنسان الحديث قد فقد طبيعته في كثير من نواحيه ... فبعد أن امتدت يد الصناعة إلى الغذاء وطحنت الحبوب بالآلات الحديثة التي أفقدتها عناصر هامة للانسان،وبعد أن استعمل الإنسان الفواكه في أشكال صناعية كالمربى أو العصير أو محفوظة في

علب بعد إضافة المواد الكيماوية إليها، وكذلك أكل الأسماك واللحوم بعد تمليحها أو حفظها وما يضاف إلى الأغذية من مواد لتحسين طعومها أو تغيير ألوانها،وكذلك العناية بطبخها تجعلها تفقد خواصها ... كل ذلك قد أثر على الإنسان تأثيرا بالغـاً ومباشراً في أجهزته المختلفة.وهذا هو السبب في أن أسنـان الأجيال السابقة كانت أمتن من أسنان هذا الجيل وأقل تعرضاً لأمراضها وكذلك العين ... كانت عند أسلافنا أكثر حدة وأقل مرضاً ... وأمراض سوء التغذية والتهابات المعدة والامعـاء وتقرحها وكافة أمراض الجهاز الهضمي والحصوات والبول السكري والروماتزم والنقرس ... وكل ذلك وأمثاله إنما هي أمراض العصر الحديث ... وأساسها هو تدخل الإنسان في تغيير طعامه .:. الذي خلقه الله سبحانه وتعالى فأصبح بهذا التدخل أقل ملاءمة ... وأكثر ضرراً . .

ولا تقتصر المواد الغذائية اللازمة للانسان على تلك التي يتناولها عن الطريق الطبيعي للغذاء ، بل إن هناك مواد غذائية تخلق خلقا داخل جسمه ولا دخل له فيها مثل الثيروكسيـن والأدرنالين والأنسولين وهي مواد لا غنى له عنها لتغذيـة الخلايا والأعضاء وتقوم بإنتاجها غدد خاصة .. وهذه المواد علاوة على أنها تقوم بتغذية الجسم فهي لازمة لنشاط الإنسان الفسيولوجي والعقلي . واحتار العلم وعجز العلماء عن تفسير هذه الظاهرة العجيبة وكان قرارهم في قيام الغدد الداخلية في الجسم بخلق هذه المواد الغذائية اللازمة لمختلف احتياجات الجسم والعقل

أنه أمر لو لم يتحققوا من صحته لكان خرافة ... ولكن طالما أن المشاهدات القياسية والدراسات العملية والأبحاث المعملية قد أثبتت هذه الظاهرة التي أسموها ظاهرة الخلق الذاتي فإنهم يعترفون بأنها أمر غريب يعادل في غرابته تصور محرك غازي تصنع بعض أجزائه من نفسها الزيت اللازم لوقود هذا المحرك ، وأجزاء أخرى تصنع بدون تدخل خارجي مواد أخرى تزيد من اشتعال هذا الزيت وأجزاء غير هذه وتلك تنتج غــذاء الميكانيكي الذي يشرف على تحريك المحرك ... وليس الغذاء فقط بل الغذاء الذي يجعله يقظا منتبهاً ويبعث فيه النشاط والذكاء. هل يمكن لعقل أن يصدق وجود هذا المحرك ؟. إن أمر الغدد الموجودة في جسم الإنسان التي تفرز بعض غذائه الجسدي والعقلي والفسيولوجي كأمر هذا المحرك ... ولكن تختلف عنه ... في أنها حقاً ... وفعلا موجودة ... في داخل كل جسم بشري ... حقاً وصدقاً ما أوسع رحمة الله بالإنسان ...

ولا تقتصر رحمة الله بالإنسان في ميدان غذائه على كل هذه الألوان والأشكال والصور من الرحمات ... ولكنها أكثر من أن تحصى حتى أبوابها ... فمثلا وقد تهيأ للانسان ما يحتاجه من الغذاء كماً ونوعا فهل فكر الإنسان منا ما السبب في أن يقبل على الأكل ولماذا يقوم عنه ؟. إن الإجابة لا تزيد على كلمة واحدة للرد على كل سؤال ... الجوع هو السبب الذي من أجله يقبل الإنسان على الأكـــل ... والشبع هو الذي بسببه يقوم عنـــه ...

ولقد احتار العلم والعلماء في تعريف الجوع ولمـــاذا يحس الإنسان به ؟ وما هو الشبع ولماذا يشعر الإنسان به ؟... فالجوع هو إحساس الإنسان بحاجته إلى الطعام ... ولكن هل ذلك بخلو المعدة ..؟ أم بقلة المواد الغذائية في الجسم ؟... قرر العلم أنـــه ليس خلو المعدة ولا قلة المواد الغذائية السبب في الإحســـاس بالجوع ... إذ يمكن للانسان أن يعيش بلا طعام لعدة أيام بل لبضعة أسابيع ... الأمر الذي يؤكد وجود كميات من الغذاء في الجسم يستطيع بها مواجهة هذا الصيام الذي وصل إلى عدة أشهر عند من قاموا بمحاولات فيه ... فليس الجوع إذا هو بسبب خلو الجسم من المواد الغذائية ... ومن عجب أن التجارب العملية أثبتت أن إحساس الإنسان بالجوع لا يدوم إلا فترة قصيرة ... وكأنها لتنبه الإنسان إلى الطعام ... إذ بعدها تقل حدة الإحساس به وبعد أيام قليلة يفقد الصائم الإحساس بالجوع تماما ... وأما الشعور بالشبع فليس إمتلاء المعدة يقينا ... فمهما أسرف الإنسان في طعامه فلا يمكن أن يملأها إذ أنها علاوة على قابليتها للتمدد فإن عملها يحتم عليها عدم الامتلاء إذ أنها تضغط على الطعام وتدفعه وتعصره وتقلبه من جانب إلى آخر حتى يتم خلطه يالعصارات المعدية التي تفرزها خمس وثلاثون مليون غدة توجد بجدارها الداخلي ... وحتى الآن لم نجد أي تعليل صحيح للاحساس بالجوع أو الشبع والأسباب التي بها يحس الإنسان بأي منهما ولا كيفية وأسباب التدرج في هذا الإحساس فالإنسان عند أول إحساسه بالجوع لا يكون هذا الإحساس إلا

كآثار بسيطة تزداد بمضي الوقت حتى يصل الجوع إلى ذروته ثم يعود في الانكسار بعد ذلك حتى ينعدم هذا الإحساس بمضي الوقت ... حتى إذا لم يستجب الإنسان له ... وأما الشبع فإن الإحساس به يبدأ كذلك قبل تمامه إذ يحس الإنسان به في أوله .. ثم يزداد هذا الإحساس حتى يصل إلى قمته ويرفض الإنسان بعد ذلك أية زيادة ... فيا ترى هل فكر الإنسان لو لم تشمله رحمة الله فخلق فيه هذا الإحساس الذي لم يصل العلم إلى معرفة حقيقته ونشأته وتطوراته كيف كان يعيش الإنسان ؟... بل هل كان يعيش ؟... فالطفل الذي يصرخ جوعا لينبه أمه أو مرضعته ويرفض الرضاعة بعد أن يشبع ... أليست هي رحمة الله به التي تجعله أول ما يحس في الدنيا إنما يحس بالجوع والشبع .. فالطفل قبل أن يرى أو يسمع أو يعرف أو يحس ... الطفل في لحظاته الأولى بعد ميلاده ... يحس الجوع فيلتقم ثدي أمه ليرضع ... ثم يشبع فإذا به يلفظه ويبتعد عنه ... مهما كانت محاولات أمه معه للاستزادة ... وهل كان يعيش لو ظل يرضع طالما هو متمكن من ثدي أمه ... وقد تنام أمه وهو يرضع ... أو تسهو عنه وكثيراً ما يحدث... بل لا بد أن يحدث... فهل يظل الطفل يرضع إلى أن يموت ؟... أو قد تنشغل عنه بلا رضاعة أو أن ينتقل من أمه إلى مرضعة ... أو من مرضعة إلى أخرى ... فتتأخر عليه الرضاعة ... وقد تطول ولا تعرف حاجته إليها طالما هو لا يحس الجوع فلا يصرخ أو يبكي ... بل الإنسان نفسه هل كان يستطيع أن يحقق حاجات الجسم من الغذاء بلا هذا

الإحساس ؟... فقد يحدد ساعات طعامه وبذلك لا يجوع ... ولكن هل كان يمكنه أن يحدد قدر ما يشبعه ؟... فقد يكون الطعام جيداً ... أو الحديث عليه طيبا ... أو قد يسهو وهو يتناوله لأمر ما ... سواء أكان هذا الأمر خيراً أو غير ذلك ... فيتناول من الطعام كمية قد تقضي عليه إما بصفة عاجلة ... أو آجلة بما يتسبب عن ذلك من أمراض ... وهل كان يجد الإنسان في طعامه لذة ؟... أو يحس بسعادة وهو يتناوله فإن لذة الإنسان وسعادته في أن يحس بالجوع ثم يتناول ما يسد به جوعه ... وأيا كان الطعام وصنفه ونوعه ولونه ... فإنه طالما تناوله على جوع فإنه يسعد به وينعم بتناوله ... وما أسعد الإنسان وهو ينهض من طعامه ... وقد غمرته نشوة الإحساس بالشبع بعد أن أحس بألم الجوع ... وهكذا الإحساس بالجوع والشبع ... والذي لا يعرف له سبب إنما هو رحمة الله بالإنسان لحفظ حياته وسبب سعادته وسبيل متعته ...

والحديث عن آثار رحمة الله بالإنسان في غذائه وتغذيته لا يمكن أن ينتهي مهما طالت الصحف وتتابعت الأقلام وتعاقبت الأجيال ومهما خصب الفكر أو سرح الخيال .. فمنذ اللحظة التي يدفع الإنسان فيها الطعام في فمه .. بل قبل أن تعد هذه الأغذية وإلى أن يتم هضم وامتصاص ما يحتاجه الجسم منها ويدفع بفضلاتها خارجه يمر في أجهزة ويلقى أمورا لا يمكن للمتأمل فيها والمتدبر لها إلا أن يسجد شكرا لله جل شأنه على رحمته بعباده . تلك الرحمة التي تجل عن الوصف وتفوق كل

تصور فالغدد اللعابية ثم الأسنان ثم اللسان الذي يحمل البلعـــة الغذائية إلى مؤخرة الفم حيث يتم بلعها من الفتحة التي تؤدي إلى المعدة ولا تخطئها إلى أي من الفتحات الثلاث المجاورة والتي تؤدي إحداها إلى الرئتين والاثنتان تؤديان إلى الأنف .. ثم المرىء الذي يسحب الغذاء إلى أسفل بحركات تجعل مروره بسهولة ويسر .. ثم المعدة بإفرازاتها وغددها وحركة الطعام فيها ثم باقي القناة الهضمية بأمعائها الدقيقة ثم الغليظة والكبدوالحويصلة المرارية والبنكرياس إلى أن ينتهي بالقولون ليخرج الجسم فضلاته بعد أربع وعشرين ساعة يقضيها الطعام في المرور في القنـــاة الهضمية .. وكل جهاز من ذلك بل كل قطعة منه تقوم بأعاجيب وغرائب أكثر مما يستطيع الإنسان أن يتصوره .

وبالرغم من هذه الغرائب والعجائب فقد قرر العلماء أن تغذية الإنسان وهضم طعامه لا يعتبر بالأمر العجيب إذا مـــا قورن بما يحدث في الإنسان في غير ميدان الغذاء والهضم وبما وهبه الله من أجهزة أخرى كالجهاز الدوري والتناسلي والبولي والعضلي والتنفسي والهرمونات والجلد وجهاز السمع والإبصار . إذ أن عمل كل جهاز من هذه الأجهزة إنما يفوق السحر ويسمو على كل خيال . ويخالف كل قاعدة .. وأي قاعدة ... ويغاير كل ما عرف الإنسان من حقائق يراها في غيرها وذلك ابتداءا من الخلية الفردية التي تعتبر الوحدة الأولى للانسان ... فالقاعدة الأصلية والحقيقة العلمية في انتشار الماء بين محلولين مختلفي التركيز بينهما غشاء يسمح بنفاذ المحاليل هو مرور الماء من

خلال الغشاء من المحلول الأقل تركيزاً إلى المحلول الأكثر تركيزا حتى يتعادلا . ولكن الخلية الحية تسحب الماء في الاتجاه المخالف لذلك لتزيد تركيز المواد الغذائية على أحد جانبي جدرانها ... وهكذا فكل ناحية يبحث فيها الإنسان نفسه إنما يرى عجبا ويسبح بحمد ربه الرحمن الرحيم دائماً وأبداً .

وقد يعتقد الإنسان وهو يقرأ هذه الكلمات فيرى الحروف سوداء والورق أبيض ثم قد يتطلع إلى السماء فيرى زرقتها أو يرى وردة حمراء زاهية ... أو يعرف لون المقعد الذي يجلس عليه أو يرتاح إلى لون الرداء الذي يرتديه ... أن رؤيته لهذه الألوان إنما هو أمر ليس أسهل منه ... فلأن هذا الشيء أخضر فهو يراه كذلك... إذ ما أيسر الرؤية... أليست العين كعدسة تنقل الصورة ... وإن كانت تصل إلى المخ مقلوبة فهو يعدلها...هكذا قد يقول الإنسان ... ولكن كيف ترى العين اللون وتراه هكذا واضحا دقيقاً وتميز درجاته؟... إن أول ما يثير دهشة الإنسان أن يعرف أن هناك كائنات حية لا ترى هذا الوجود كما نراه... هكذا إنما تراه بلون واحد . فالكلاب مثلا لا ترى ألوانا ما ... وكل ما تراه إنما يكون لونه رماديا أو أسود أو لوناً بينهما ... وأما النمل فإنه لا يرى اللون الأحمر إطلاقا وإنما يراه أسود أو رمادياً قاتما ... وأما الحمام فلا يرى اللون الأزرق أو الأخضر إنما يراهما أسودين حالكين ... هذه الآراء إنما أصبحت حقائق علمية بعد أن أجريت تجارب واسعة على كافة الكائنات الحية ودراسة إمكانيات رؤيتها لمختلف الألوان ... وقد وضعت عدة

تفاسير وآراء في كيف يرى الإنسان الألوان ويحس بها ويقف على درجات تركيزها ... وأثبت العلم أخيراً أنه لما كان الطيف الشمسي الأبيض يتكون من أطياف لألوان سبعة هي البنفسجي ثم النيلي ثم الأزرق ثم الأخضر ثم الأصفر فالبرتقالي والإحمر... وأن هناك إشعاعات فوق البنفسجي وتحت الأحمر وهي إشعاعات لا يراها الإنسان وقد توجد كائنات تراها ... فقد عرف مثلا أن النمل يرى الإشعاع فوق البنفسجي والذي لا يراه الإنسان ... وكل مادة في الوجود تمتص من هذه الأطياف جزءا منها وتسمح بنفاذ جزء منها ... وإن هناك اهتزازات للنور في البيئة المتوسطة بين الرائي والمرئي ،وعن طريق هذه الذبذبات والجزء من الضوء الذي يرسله المرئي والآخر الذي يمتصه ... تنقل العين هذا العمل المتكامل ليدرك المخ درجة اللون ... والتفاصيل لهذه العملية معقدة ... لدرجة كبيرة . ولكنها تجد قبولا عند العلماء لأنها توضح أسبابا ... وتصل إلى نتائج عن الابصار ... تعتبر في نظرهم سليمة ... ولكن هناك ما لا يعرفه العلم بعد في رؤية الألوان ... مثل حيوية اللون ... فالإنسان يجد فارقا كبيراً بين لونين في تركيز واحد ... وتماثل تام إذا كان أحد اللونين على مادة حية ... كوردة ... أو ورقة شجر.. مثلا ... أو زرقة السماء ... والآخر على رسم لها ... فكل إنسان إذا أنعم النظر في وردة ... وصورة لها بالألوان ... فوتوغرافية أو يدوية ... مهما كانت دقة اللون بينهما ووحدة درجته فيهما ... فإن اللون يختلف ... بما نسميه حيوية اللون ... هذا

لون حي ... وهذا غير حي ... كيف ؟... وما هو السبب ... لم نستطع أن نعلل حتى الآن ...

وعلى كل ... هل فكر الإنسان ترى كيف تكون حياته لو أنه رأى الوجود كله بلون واحد ... الأبيض مثلا ... هل نتأمل قليلا ... ونتدبر ... كيف يكون الحال عندما يصبح الناس جميعا بلون واحد ...الرجال والنساء وجوههم وشعورهم وعيونهم.. وأرديتهم... بلا زخارف أو ألوان... وكيف يرى الرجال النساء ؟... وكيف تتزين أو تلبس النساء ؟... بل كيف نفرق بين الليل والنهار ؟... وما يفرق بينهما إلا رؤية اللون ... ثم كيف يمر الإنسان في مختلف بقاع الأرض ... فلا يعرف الحدائق من الصحاري ... ولا الأوراق من الأزهار ... ولا الثمر من الأشواك ... ثم ألا يفقد الإنسان لذة كبرى في طعامه.. بفقده الإحساس باللون فيما يأكله ... بل يفقد متعة عظيمة من حياته ...ألا وهي متعة اختلاف اللون ... وتشاكله وتناسقه في كل ما نراه ...

وقد يعتقد البعض أن رحمة الله بالإنسان إنما هي فيما يحس الإنسان به من سعادة شاملة أو متعة كاملة سواء كانت فيما يتم خارج جسم الإنسان أو داخله ... ولكن الأبحاث العلميـــــة والدراسات الطبية أثبتت أن رحمة الله جل شأنه تتجلى كذلك فيما قد يحس به الإنسان من ألم ... فالألم الذي يحسه الإنسان من أي مصدر كان ... إنما هو رحمة من الله سبحانه بالإنسان..

إذ عن طريقه يتم في الجسم أمور عجيبة تتكاتف كلها لحماية الإنسان وحفظ حياته ودفع الأذى عنه ... فمن أول نتائج الألم السريعة ، الابتعاد عن مصدر الأذى بطريقة عاجلةوغامضة لم يمكن تفسيرها أو تعليلها ... فعندما يشعر الإنسان بوخـز دبوس أو لسعة نار في أصبعه مثلا .. نجده قد أبعد يده عـن مصدر الأذى بحركة سريعة تزيد كثيراً عن سرعة حركة تنتج عن تفكير فيها يصل الأثر إلى المخ ثم من المخ إلى الجهاز العصبي ثم تتحرك اليد ... الأمر الذي أكد أن سرعة ابتعاد اليد عـن مصدر الألم إنما كانت حركة بدون إجراءات تفكيرية. فكيف تمت إذاً ؟... يقول الطب في آخر أبحاثه أنه يجهل ما يحدث في الأعصاب في حالة الألم ... وكل ما يعرفه هو أن تغيرا في الطاقة الكهربائية ينتقل على طول العصب وأن هنـاك موجات سلبية في ألياف منفصلة هي التي تترجم عند وصولها إلى المخ إلى إحساس بالألم ... وأما الأمر بإبعاد العضو عن مصدر الأذى فإن هذا عمل المخ ... الذي يقول عنه الطب أيضاً أنه يعجز عن الاحاطة بمجاله عجز الإنسان عن الإحاطة بعالم النجوم ... وكل ما يعرفه أنه يوجد بالجسم مراكز عصبية تزيد على اثني عشر مليار من الخلايا تتحد فيما بينها بألياف وتنبثق من كل منها تفرعات ... وتتجمع بعضها مع بعض بهذه الألياف عـدة ترليونات من المرات ... وهذا الجمع الهائل الذي يعتبر مـن أكبر ما في الوجود من الناحية العددية ... وتعقيده فوق كل تصور أو تخيل ... يسيطر على جسم الإنسان كله سيطـرة

تامة ... وهذا الجهاز العجيب يبدأ من المخ ويشمل المخيخ والنخاع الشوكي وشبكة هائلة من الأعصاب الفرعيـــة التي تتغلغل بين خلايا الجلد وحول أغلفة الغدد وفي قنواتها وداخل مسالك الشرايين والأوردة والأغلفة القابضة في المعدة والأمعاء وعلى سطح الألياف العضلية وفي كل مكان توجد خليـــة أو إفراز لخلية ... وخلاياه أسمى وأرق عناصر الجسم ... وكل هذه الأجزاء تعمل جميعها كما لو كانت شيئا واحدا وبسرعة مذهلة إذ تعتبر سرعة العمل في هذه الأعصاب أكبر سرعةتعرف في الوجود ... هذا هو الجهاز الذي يبعد يدك عن مصدر الأذى قبل أن تفكر ... وهو الذي يدفعك إلى أن تأخذ حذرك مما أنت فيه قبل أن تلحظه ... وهذا الجهاز هو الذي ينبه باقي أجهزة الجسم إلى وجود عدو تسلل إلى داخله دون أن يدركه الإنسان.. وبعد دراسة جادة وسريعة لهذا العدو ومركزه ودرجة خطورته يتصرف هذا الجهاز بما يلائم الأوضاع التي أصبح عليها الجسم بالنسبة للعدو ... فقد يرى أن ترتفع حرارة الجسم إلى مستوى أعلى ليدفع قوى الجسم الاحتياطية لحرب العدو ... فيأمر برفع حرارة الجسم بسرعة وفي هذه اللحظة يشعر الإنسان بقشعريرة تصاحب ارتفاع الحرارة أو تعقبها ... وما هذه الرعشة إلا محاولة لزيادة إنتاج الحرارة في العضلات أثناء تقلصها وانقباضها المتكررين استجابة لأمر المخ الذي لا يترك الأمر على ذلك ... إذ أن ارتفاع الحرارة قد يضر الإنسان فهو في كل لحظة بل وفي أقل منها يدرس الموقف في الجسم دراسة شاملة ومستفيضة ...

ويتخذ إجراءات عجيبة ... فهو إن كان قد أمر برفع الحرارة.. فإنه يرسل إشارات إلى الجلد ليكثر من إفراز العرق الذي يؤدي إلى راحة الجسم عامة وخفض الحرارة ... وهذا أمر يحسه الإنسان ولا يدري له سبباً ... وكذلك يأمر المخ بأن تتمـــدد أوعية الجلد فتشاهد حمرة الخدين على المريض وما ذلك إلا لخفض جزء من الحرارة حتى لا تتوالى في الارتفاع بما قد يضر الإنسان ... ثم يأمر الجهاز التنفسي ليزيد من سرعة وعمـــق التنفس كوسيلة من وسائل الدفاع في الجسم ... وينظر المخ النتيجة ... ويدرس الموقف دراسة شاملة ... فإما يرفع الحرارة مرة أخرى إذا كان العدو لا يزال مسيطراً على الجسم أو يعيد الحرارة إلى حالتها الطبيعية إن كان العدو قد انهزم وانتهى أمره.. ويحتار العلم في أمر المخ وجهازه وهو هذه الشبكة الرهيبة من الاعصاب .

ولا يجد العلم ما يقوله عنها إلا أن كل خلية منها تتصرف كأنها ترى ما يتم وتحس بما يجري وتعلم ما يقع وتدرك ما تفعل وتعمل ما يجب بل وتتنبأ بما يحدث... ولا يملك الإنسان إلا أن يقول إنها رحمة الله بالإنسان الذي تشمله وتحيطه وإن كان قد تردد منذ زمن حكمة تقول إن رحمة الله فيما لا تهوى الأنفس كدعوة للانسان أن يصبر على ما قد يؤلمه ... فإن الدراسات والأبحاث قد أثبتت أنها أكثر من حكمة ... إذ أنها حقيقة علمية مؤكدة .

ويندهش الإنسان عندما يتأمل حاله مع الحوادث التي تقع

له والصور التي تمر به . فالحياة إنما هي صور متلاحقة يبدأ أولها عند ميلاده وينتهي آخرها بموته . وفي كل لحظة من لحظات عمره يعيش في صورة بعينها وتظل تتتابع الصور وتمر الأحداث وهذه الصور تختلف عن تلك التي تعارف عليها البشر في أنها صور حية . ناطقة بالكلام ، مليئة بالحركة ، وأن مستعرضها هو صاحبها وبطلها ... ترى أين تذهب هذه الصور والأحداث التي عشنا فيها ؟... قد تظل في مخيلتنا ولو لفترة ولكن لا بد أن يسدل النسيان عليها ستاراً يزداد في كل لحظة تكثفا ليحجب عن الإنسان رؤيتها فلا يلبث أن ينساها حلوة كانت هذه الصورة أو مؤلمة ... فهل النسيان معناه إزالة هذه الصورة وآثارها من الذاكرة أينما كانت الذاكرة ... في المخ أو العقل الباطن أو النفس ؟... إن التجربة تؤكد عكس ذلك ... إذ كثيراً ما يعود الإنسان فيذكر صورة بعينها وحادثة بأكملها ومهما تقدم الزمن عليها فإنه يذكرها تماما ... فلا بد إذاً أن كل ما يمر بالإنسان في حياته إنما هو موجود في مكان ما فيه ، وأن شيئاً ما يحدث ليحجب هذه الصور عن الذاكرة الحاضرة ... حتى يمكن للانسان أن يعيش وأن يحيا وأن يسعد بعيداً عن كل مؤثرات هذه الصور والأحداث التي قد تسبب له ألما أو تثير فيه شجناً ... ولهذا السبب ينسى الإنسان إساءة الصديق فيعود إلى صداقته ... وينسى المحزون أسباب حزنه ... وتنسى الأم الثكلى فجيعتها في ولدها طال الوقت أو قصر ... فتستأنف الحياة مرة أخرى... فلا بد أن ينسى كل إنسان ... هذا النسيان وهو تحرك الصور

والأحداث من مكان الذكر إلى مكان آخر الله أعلم به حيث تختزن بعيدا عن مجال الفكر... إنه نعمة للبشر. وإلا ان ظلت الصور والأحداث في مكان الذكر كيف يسلو المحزون وكيف يهدأ الملهوف وكيف يعيش المكروب ؟... ولم يحاول العلم أن يتغلغل فيبحث في أعماق النفس البشرية أو في خلايا المخ عن أمر النسيان والطرق التي تؤدي إليه والمكان الذي تذهب إليه الصور والأحداث لتختزن إلى لحظة يرغبها الإنسان أو يكره عليها ... فيتذكر منها صورة أو حادثة يريدها أو يجبر على تذكرها ... وقد يأتي الوقت بل لا بد أن يأتي ... الذي فيه تخرج كل هذه الصور والأحداث من مكانها إلى لوحة الفكر والذكر لحكمة يعلمها الله ... وفي وقت أراده الله ... فكل ما وصل إليه العلم أخيرا في هذا الشأن هو أنه قد أثبت أن هناك حالات مرضية تصيب الإنسان إذا ما تقدم به العمر تجعله يعود ليتذكر الصور والأحداث التي مرت به في أوائل حياته والتي قد يكون لم يذكرها في شبابه أو رجولته إطلاقا ... وقد وصفت أعراض هذا المرض وتطوراته وأفردت له صفحات في الطب الحديث ... ويتعجب الأطباء من حالات هذا المرض إذ يذكر المريض بعد أن يصل إلى سن متقدمة أحداثا وقعت وهو في سنين حياته الأولى ... وإذا كان الإنسان العادي لا يذكر ما وقع له... أو منه وهو في الثانية أو الثالثة من عمره إطلاقا فإنه في حالات هذا المرض يذكر ذلك وهو في السبعين مثلا ... كما قرر العلم أيضاً أنه عن طريق هزة خفيفة أو لمسة بسيطة في مكان معين من

المخ خرجت كل الصور التي مرت بالإنسان إلى لوحة الفكر وكأن صاحبها يعيشها مرة أخرى ، مما يؤكد أن صور الحياة كلها وأحداثها التي مرت بالإنسان طوال لحظات حياته لا تنعدم أو تتلاشى إنما هي موجودة في داخل منطقة معينة في مخه ولكنها بعيدة عن مجال فكره وذكره ، أليس النسيان رحمة من الله سبحانه وتعالى بالإنسان ؟ وهل بدونه كان يستطيع أن يحيا وكافة صور حياته وأحداثها كلها أمام عقله وفي ذاكرته كل لحظة وحين ؟ ...

وكذلك من رحمة الله بالإنسان أن اختصه بما لم يختص به أي كائن آخر فيما نعلمه ... اختصه بالأمل وميزه به ...والأمل طريق السعادة وسبيلها وباعثها ... إذ لولاه لتغير شكل الحياة في نظر الإنسان واختلف تقديره لها ... اختلافا كاملا ... فهذا المريض أيا كانت درجة مرضه بل وحتى عندما يصل فيه المرض إلى غايته ... نجده لا يفقد الأمل ... ويعيش مؤملا الشفاء متوقعاً له ... وإذا كان يعرف أن مرضه مما لا يبرأ منه الإنسان.. فإنه لا يفقد الأمل في الله ... ويمنحه الأمل ثقة كبيرة ... ويزوده بصور لشفاء مماثل لحالته بل لأشد منها ... وإن لم تسعفه ذاكرته بما سبق أن رأى ... أو سمع ... وجد في قصص الرسل والأنبياء الأمل والرجاء ... وإن لم يجد في أحاديث الدنيا العزاء ... وجد في الدين الرجاء كل الرجاء ... ويقرر العلم أنه إذا كان الدواء هو أحد طرق العلاج فإن الأمل الذي يعيش به المريض هو أهم أسباب الشفاء ، وأن حالة المريض المعنوية

يتوقف عليها تطورات المرض وسير العلاج . وهناك حالات من الشفاء المعجز ... عجز الطب عن بيان أسبابها واحتـار الأطباء في تعليلها ولكنهم اعترفوا صراحة بأن ما تم فيها إنما كان عن طريق النشاط الروحي الذي تغلب على ما كان يعاني منه الجسد. ولا يبعث هذا النشاط إلا الأمل ... الذي به تنفتح أمام الإنسان الرحاب الواسعة التي يخرج الإنسان إليها من الضيق الذي يقوده إليه المرض ... ولقد أصبحت النصيحة الأولى التي يوصي بها الطب كافة المرضى هو احتفاظهم بالأمل ... وأول محاولة يبذلها الأطباء في العلاج هو محاولة بعث الأمل في المريض ولذلك يدخل الطبيب على مريضه هادئاً مبتسماً مشجعاً ... يحاول قدر طاقته تخفيف حدة ما يلقاه المريض ... ومهما وجد من سوء حالة مريضه واقتناعه باستحالة شفائه فإنه يصف العلاج الذي يراه وما تقرير العلاج في مثل هذه الحالات إلا بعثاً للأمل في نفس المريض ... وما وجدنا طبيباً إطلاقاً أفصح لمريضه بأنه لا شفاء من مرضه مهما كانت خطورة المرض ... فإن الطبيب يعرف قدر تأثير الأمل على نفس المريض وحالته ومن ثم على مرضه ...

والتاجر إن خسر مرة ... فإنه الأمل الذي يدفعه إلى معاودة العمل ... والسعي ... حتى يربح ... ومهما توالت خسارته فإن الأمل يخلق فيه روح المثابرة ويشجعه على المضي في تجارته .. والزارع في حقله ... الذي يلقي بالحب في الأرض أملا في ظروف مواتية لينبت ... فلا بد أن الحب سليم وقوة إنباتـه

متوافرة ... والأرض لا بد أن رطوبتها مناسبة والجو سيلائم الإنبات وستتوفر المياه اللازمة ... وإن حدث وأصيب النبات... عاود الزارع ... ما فعل ... وما يدفعه إلى ذلك إلا الأمل ... والأمل فقط ... وإن قل محصوله مرة ... واعده الأمل ... إلى قابل ... وإن خسر عاما ... تأكد من الربح أعواماً ... فهكذا يفعل به الأمل ...

والطالب في دراسته ... والعامل في مصنعه ... والزوجة في بيتها والطفل في أول مرحلته ... كل هؤلاء إنما يعيشون بالأمل.. ولا حياة لهم بلا أمل ... وإلا فإنها تكون حياة لا رجاء فيها ... ولا خير لأيامها ... ولا سعادة في لياليها ...

إن الأمل ... هو رحمة من الله ... أنعم بها على الإنسان ليسعد في حياته ... ويسعى ... في أيامه ... وينعم في لياليه ... ويظل يعيش في كنف الأمل ... وتحت ظلاله ... إلى أن تتبدل حاله ... من الحياة الدنيا ... إلى الحياة الأخرى ... حيث ينعم بصور جديدة من رحمة الرحمن الرحيم ...

ومن أهم صور رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان أنه جل شأنه قد أخفى عن الانسان ما لو عرفه لكانت الحياة في نظر الإنسان غير ما هي ولاختلف إحساس الإنسان نحوها ... فكل إنسان يؤمن إيماناً لا شبهة فيه ولا ظل للانحراف عنه بأنه سيموت إن عاجلا وإن آجلا ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى بأن يخفي عن الانسان موعد موته إنما تهدف إلى سعادة الإنسان في حياته...

فلو عرف الإنسان يوم موته أيا كان هذا اليوم بعيدا ... وبعيدا جدا فإن معنوياته النفسية تتغير تغيراً قد يمنعه من ممارسة الحياة... أو على الأقل يعيش الإنسان فيها عيشة المتوقع للمكروه المترقب للمصاب ... ويعلم وقته ...فيأخذ منه هذا الانتظار والترقب كل مأخذ بحيث يجعل حياته جحيما ... وعيشه ألما ... ولو علم الإنسان سلفا ما سوف يقع له من حوادث بعينها هل كان يسعى في حياته ... أو ينتقل من مكانه؟... وهل كان يباشر كافة الشؤون التي يباشرها وهو لا يعلم ما سوف تأتي به الأيام من أحداث ؟.. ولو علم الإنسان المكان الذي سيموت فيه أو البقعة التي سيقع له فيها أي حادث ... هل كان يذهب إليها ... بل هل كان يرد ذكرها على مخيلته ... وكيف يكون أمره لو أن في هذا المكان.. رزقه المحدد .. هل يعيش بلا رزق ؟!... أم هل يجازف في سبيله ... فيذهب وهو يعلم أن في ذهابه موته !... وعلى أي الحالات كيف يكون إحساسه ... وتقديره ... ومشاعره ... وكيف يا ترى تكون حياته ؟ إن جهل الإنسان بمثل هذه الأمور التي قررت له حتى من قبل ولادته وتحدد له منها ما أراد الله لهو من رحمة الله به ... وصدق الله العظيم الذي يقول في قرآنـــه الكريم :

« إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ومن ضمن ما وهبه الله سبحانه وتعالى للإنسان رحمة منه جل شأنه به ... الإحساس الجمالي ... وهو إحساس الإنسان بالجمال أيا كان هذا الجمال في صورة أو استماع إلى موسيقى أو على قمة ذلك كله في الشعور الديني ... أو الإيمان الفطري ... إن هذا الإحساس ليس من قول الفلاسفة أو خيال الأدباء ولكنه حقيقة علمية قد أكدها الطب في آخر دراسته وقرر وجودها وأطلق عليها الإحساس الجمالي ... فنجد مثلا في كتاب الإنسان هذا المجهول للطبيب العالمي الدكتور ألكسيس كاريل النص الذي يقول (يوجد الإحساس الجمالي عند البشر عند أكثر الكائنات البشرية بداوة كما يوجد عند أكثرها تحضراً وهو يبقى في الإنسان حتى بعد زوال العقل . فالبلهاء والمجانين يمكنهم القيام بأعمال فنية رائعة ولذلك فهم يشعرون بالإحساس الجمالي. إن خلق أشكال أو سلسلة من الأصوات التي توقظ في نفس من يراها أو يسمعها انفعالا جماليا ، هو ضرورة أولية من ضرورات طبيعتنا . لقد تأمل الإنسان دائما في سرور ... الحيوانات ، والأزهار ، والشجر ، والسماء ، والبحر والجبال . واستخدم قبل فجر الحضارة أدواته الغليظة في صنع صور للكائنات الحية من الخشب ، والعاج ، والحجر ، واليوم أيضا يجد مسرة في صنع أشياء من وحي ذاته ويستشعر متعة الجمال حين يستغرق في هذا العمل ... ويظهر النشاط الجمالي في خلق الجمال كما يظهر في تأمله ... إنه متجرد تماما ... ويبدو في المتعة الفنية كأن الشعور يخرج عن ذاته ويستغرق في كائن آخر

... الجمال لمن يعرف كيف يكتشفه نبع من الغبطة لا ينضب له معين ... ذلك أنه ملء العالم فهو يخرج من الأيدي التي تشكل غليظ الخزف أو تنقش عليه ، والأيدي التي تقطع الخشب وتصنع منه قطعة أثاث ، والتي تنسج الحرير ، والتي تهذب الرخام ، والتي تشذب لحم الإنسان وتصلحه . إن الجمال في فن كبار الجراحين الدامي كما هو في فن الرسامين والموسيقيين والكتاب والشعراء . وهو في مشرق الشمس على المحيط وفي الشتاء فوق أعالي الجبال ... وهو أعمق أثرا في النفس عندما تتأمل رحاب عالم النجوم وعالم الذرات المترامية الأطراف وانسجام المخ الإنساني الذي يجل عن الوصف ونفس الرجل يبذل ذاته بعيداً عن الأبصار لخير الآخرين . في هذه الصور جميعاً يظل الجمال الضيف المجهول في المادة المخية التي تبدع وجه الكون ... ولا ينمو الإحساس بالجمال على نحو تلقائي وإنما يوجد في شعورنا كقوة كامنة) ... أليست هي رحمة الله بالإنسان التي أودعت فيه هذا الإحساس بالجمال ... وجعلته وهو يقوم بعمل جميل ... أو يراه ... أو يسمعه ... يحس ... بما لم يستطع العلم حتى الآن تفسيره ... أو تعليله أو إيجـــاد أسبابه ... إلا أنه قرر أنه حقيقة علمية مؤكدة وموجودة ... وكل إنسان يحس بهذا الإحساس الجمالي ... كلما رأى أو سمع أو عمل ... شيئاً جميلاً ... وما أكثره ...

والإيمان بالله ... أو الشعور الديني أو الشعور الصوفي ... هذا الإحساس أصبح حقيقة علمية قال بها الطب في دراساته ...

فيقول الدكتور ألكسيس كاريل (إن الشعور الصوفي شعور فريد وهو واحد من أوجه نشاطنا الجوهرية . ويتخذ النشاط الديني صوراً مختلفة إلا أنه تعطش ونزوع مبهم نحو سلطان يعلو فوق الصور المادية والعقلية في عالمنا . إنه قريب من النشاط الجمالي .. إلا أن الجمال الذي ينشده الصوفي أغنى من جمال الفنان وأبعد منه عن التعريف والتحديد .. إنه بدون صورة على الإطلاق ولا يمكن التعبير عنه بأية لغة إذ ينزع الإنسان بفضل نشاط معين في شعوره نحو حقيقة غير منظورة تكمن في العالم المادي وتمتد وراءه ... ولكن ينبغي ألا نتساءل هل التجربة الصوفية حقيقية أو غير حقيقية . هل هي إيحاء ذاتي أو وهم . أو هي رحلة ترتحلها الروح فيما وراء عالمنا تتصل خلالها بحقيقة عليا . علينا أن نقنع بمفهوم عملي عليها . إنها فعاله بذاتها فهي تعطي من يمارسها ما يريد . تعطيه التجرد والسلام والقوة والحب . إنها تعطيه الله .. إنها حقيقة ... حقيقة الوحي الفني الحقيقة الوحيدة عند الصوفي وعند الفنان على السواء ... هي الجمال الذي يتأمله كل منهما ... فيها تنطلق روحه بعيداً ... وراء المكان والزمان ... وتتصل بشيء يجل عن الوصف ... لقد شارف الحياة الاتحادية ... إنه يتأمل الله ... ويعمل معه) ... هذا رأي الطب في الإحساس الديني ... أو الشعور الصوفي ... أو الإيمان الفطري ... حقيقة علمية أمكن للطب دراستها ووصفها ... ولكن ما أبعد هذا الوصف عن الحقيقة ... فلا يعرفها حقيقة إلا من جربها ... ولا بد أنه قد مر الإنسان ... كل إنسان ... بلحظات

استشعر فيها القرب ... والقرب جداً من الله ... ولا جدال أو اختلاف في الرأي فكل من يتعرض بالقول أو البحث في الإحساس الديني يقرر بلا غموض أو لبس أن قمة السعادة التي يحس بها الإنسان في حياته ... هي لحظات تأملاته ... أو عباداته ... أو إحساسه الديني ... عندما يشرق عليه ... من ثنايا زحمة الدنيا به ... ومن خلال تكالبه عليها ... هذا الإحساس ... هو رحمة الله سبحانه وتعالى به ... فالإنسان إذا شاء الله جل شأنه أن يمنحه سبيل سعادة ... هي فوق الوصف ... ومتعة هي غاية ما يرغب ... وأبعد مما يطلب ... وفقه برحمته إلى هذا الإحساس .

وهكذا لا يستعرض الإنسان أي جزء في نفسه أو يتأمل أي حالة من حالاته ... إلا ويرى رحمة الله الواسعة تشمله شمولا كاملا ... متصلا ... وصدق الله العظيم إذ يقول جل شأنه في قرآنه الكريم :

« وفي أنفُسِكُم أفَلاَ تبْصِرُونَ » .

ورحمة الله بالإنسان لا تقتصر على ما وهبه له في جسمه أو عقله أو نفسه ... وإنما تتعدى ذلك إلى غير الإنسان نفسه ... فرحمة الله جل شأنه بالإنسان هي التي أرسلت الرياح ... ليتجمع السحاب ثم ينبسط في السماء لينزل مطراً نقيا طاهراً يخرج به الزرع من الأرض فكأنه يحييها بعد موتها ... وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كيفَ يَشَاءُ ويَجعلُهُ كِسفاً فَتَرَى الودْقَ يَخرُجُ مِن خِلالِهِ فَإذا أَصابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ إذا هُمْ يَستَبشِرُونَ . وَإن كانُوا مِن قَبلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِن قَبلِهِ لمُبلِسينَ . فانْظُرْ إلى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوتِها إنَّ ذٰلِكَ لمحي الْمَوتى وهُوَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

وكذلك يقول القرآن الكريم :

« وهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشراً بَينَ يَدَي رَحْمتِهِ حَتى إذا أَقلَّت سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الماءَ فَاخرَجْنا بِهِ مِن كلِّ الثَّمراتِ كذلِكَ نُخْرِجُ الموْتَى لعَلكم تَذَكَّرُونَ » ، « وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشرات وَلِيذِيقَكم من رَحْمَتِهِ ولتجْرِي الْفُلكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبتَغُو مِنْ فَضلِهِ وَلَعَلَّكُم تَشكُرُونَ » .

فإرسال الرياح إنما هي رحمة الله بالإنسان ... فعن طريقها تخرج نباتات الأرض بما ينزل عليها من المطر ... وبها تجري الفلك في البحار ... وبها تقوم كافة شئون الحياة للإنسان ... وقد يعتقد البعض أن إرسال الرياح أو مرور الهواء وهبوبه إنما

امر سهل وميسور إذ يحس به الإنسان وهو يمر عليه عليلا لطيفا ... ولكن من يدرس كيف يتحرك الهواء يدرك تماما بعض مظاهر رحمة الله بالإنسان ، التي حركت أعظم وأقوى ما قد يعتقده الإنسان ... فالهواء مثلا ليس خفيفا كما قد نعتقد أول الأمر ... بل إنه ثقيل وله ضغط كبير ... ويقرر العلماء أنه لو أمكن ضغط الهواء الموجود في غرفة متوسطة ووضع في حقيبة يد مثلا كتلك التي يضع فيها الطالب أدواته ... ما تمكن أي إنسان مهما أوتي من القوة أن يحمل هذه الحقيبة ...

والهواء يحيط بنا في كل مكان ويرتفع فوقنا إلى مسافات بعيدة تبلغ مئات الأميال وقد قدر العلماء كميات الهواء التي تحيط بالأرض بحوالي خمسة ملايين بليون طن أو رقم خمسة مسبوقاً بخمسة عشر صفراً ... فكيف يكون ضغط هذه الكمية من الهواء ... لقد أمكن للعلماء قياس ضغط الهواء على الإنسان فوجد أنه يضغط على رأسه بقوة ألف رطل وعلى كل أنحاء جسمه بعشرات الألوف من الأرطال ولكن وجود الهواء داخل الجسم يعادل هذا الضغط وإلا لكان هذا الهواء الذي نتلمسه ونسعد به قد ضغطنا لنصبح في سمك هذه الورقة التي عليها هذه الحروف ... والهواء يتكون من جزيئات من غازات وهذه الجزيئات في حركة دائمة وتتصادم مع بعضها ونتيجة لذلك فإن هذه الجزيئات تغير مسارها ... وقد أمكن للعلم أن يصل إلى حساب مرات هذا التغيير فعرف أن الجزيء الواحد من الهواء يغير مساره خمسة آلاف مليون مرة في الثانية الواحدة ... وحتى

تم الحياة لا بد للهواء أن يدور فترى أي قوة لا بد أن تتسلط على هذه الكميات الرهيبة من أطنان الهواء فتحملها بحركات جزيئاتها إلى مكان معين وعلو محدد لتحمل منه بخار الماء ... وتنزله مطراً على أرض صالحة للزارعة ... لقد حاول العلم أن يستكشف أسبابا ... أو يبحث لعله يجد ما يمكن أن يجعله أساساً لأسباب ... ولكنه لم يجد إلا أن يعترف أن هذه إرادة الله ... وإنها لحياة الإنسان وتوفير ضرورات حياته ... أليست هي رحمة الله بالإنسان ... فحتى يستنشق الإنسان النسيم العليل بهذا اليسر وهذه السهولة التي يتم بها التنفس وحتى يمكن لهذا النسيم في صورة من صوره أن يجمع السحب في السماء ويحملها ويوزعها ثم يسقطها مطراً .. لا بد أن يكون هذا النسيم أمره عجيباً وشأنه غريباً ... فهذا الضغط الكبير للهواء ... وتوزيعه المتقن بين خارج الجسم وداخله .. وهذه الكميات من الهواء ... والحركة الدائبة له ... كل ذلك إنما يستلزم هذه القوة القاهرة وهذا النظام الجبار ... وقد كان ... وإن أي تغيير في عجائبه معناه الموت المحقق السريع للإنسان ... فإذا كان الإنسان يأكل ثلاث مرات في اليوم وقد يستطيع الصوم عن الأكل عدة أسابيع ... ويشرب ما يقرب من خمس إلى عشر مرات يوميا ويمكنه أن يمتنع عنه لبضعة أيام ... فإنه يتنفس أي يأخذ الهواء حوالي عشرين مرة كل دقيقة ولا يمكنه أن يعيش بدونه إلا لحظات ... ولحظات محدودة فقط ... فالهواء يعتبر أساسياً لحياة الإنسان إذ ينفذ الأكسجين من الهواء إلى الدم بطرق عجيبة ... وبدون هذا الأكسجين يفقد الدم خواصه وعمله ... ويخرج الهواء المواد

الضارة من الجسم في كل مرة يخرج الإنسان فيها زفير ...
وبدون الأكسجين الذي يصل إلى المخ مع الدم يقف المخ وهذا
معناه الموت المحقق السريع . ولا يؤثر الأكسجين على المخ
فقط بل إن كل أعضاء الجسم إنما تتأثر تأثرا مباشرا به .. وإن
مرة واحدة من الشهيق .. يتزود فيها الإنسان بكمية وافية من
الأكسجين لتكسبه من القوة والنشاط ما لا يمكن لغيرها أن
يكسبه هذا النشاط والقوة إطلاقا ... علاوة على ذلك فإنه يلطف
من حرارة الجسم ويحافظ على الدرجة المناسبة منها للإنسان ...
وبدونه ... ما خرجت الأصوات من الإنسان ... وما انتقلت
منه إلى غيره ... ولهذا فإن عملية التنفس التي يتم دخول الهواء
بها إلى الجسم إنما هي عملية لاإرادية . . تتم دون تدخل من
الإنسان ... ولهذا فإنها تستمر طوال حياته ليلا ونهارا ... وسواء
كان يقظا أو نائما... متنبها أو ساهيا... صحيحا ... أو مريضا .

والإنسان إذا ما تدبر حاله وتأمل ما حوله ... ودرس كل
ما يحيط به أو يتصل بشأنه أو يرتبط بأمره يجد آيات رحمة
الله سبحانه وتعالى تفيض عليه بحيث يتأكد الإنسان أنه إنما رحمة
من الله ... وبرحمته ... وإلى رحمته ... وأن كل ما هو فيه
إنما هو حقا وصدقا أثر من آثار رحمة الله به ... وكل ما يسعد
الإنسان أو يثير فيه المتعة أو يشعره بالنعيم إنما هو رحمة من الله...
فالأصل في وجود الإنسان أن يكون سعيدا ... منعما ... فلهذا
خلقه الله جل شأنه ولهذا جعله موضع رحمته .

وأما ما قد يلاقيه الإنسان في قليل من أحيانه وما قد يصيبه

في بعض لحظات حياته مما يثير فيه الألم أو يبعث في نفسه الأسف فقد لا يكون في حقيقته كذلك وإنما قد تكون رحمة من الله خفيت على الإنسان حقيقتها فظهرت كما يراها هكذا على صورتها ... فهذا الإنسان قد تعثر قدمه وهو في طريقه وقد يكون في هذا الطريق ساعيا إلى رزقه أو ناشدا الخير لغيره ... أو متوجها لعبادة ... فيصيبه من عثرة قدمه ما يجبره على أن يرقد طريح فراشه مدة قصرت أو طالت ... وصورة ما حدث له لا تحتمل إلا أنه شر قد وقع به فهو يحس بأثره في ألمه ... ويعرف أن اعتكافه وقد أجبر عليه قد يعطله عن بعض مصالحه ... وقد يكون في حقيقة الأمر هذا الإنسان قد تعرض إلى أصابة قاتلة في قلبه ... ومهما نصح له الأطباء بالراحة والاعتكاف فقد لا يستمع إلى قولهم وحتى إن استجاب لنصحهم فإن ما يعتريه من القلق على حاله يجعل الشفاء بطيئا وقد لا يجعله مؤكدا ... وأن حدث الشفاء فلن يكون تاما ... وهكذا فإن رحمة الله قد شملته فجعلته يهتم بقدمه ... فلا يقلق على قلبه ... اذ لم يعرف بما قد تعرض له قلبه ... ويعتكف المدة التي ينهض بعدها سليما معافا ... من أصابة قدمه ظاهريا ... ومن قلبه أو غيره ... حقيقة ... ويكون مثله في ذلك مثل من يجد حجرا يكاد يصيب عينه فيحميها بيده متحملا الإصابة في يده ... بدلا من عينه ... ولا يملك بعدها إلا أن يحمد الله اذ أن رحمته هي التي أبعدت الإصابه عن عينه لتتحملها يده ...

وغيره قد يجد أن رزق الآخرين ميسور واسع وأن الله قد

قدر عليه رزقه ... فيأسف ويشقى وهو لا يدري أن حتفه قد يكون من مال يزيد أو أنه سينفق على ما لا يتمنى من هذا المال الوفير فلو خير العبد وقد أصيب في صحته مثلا بين أن يجد المال الذي ينفقه على مرضه ... أو لا يمرض ويجاهد في سبيل قوته لحظة بأخرى ويوما بغيره ... ما كان هناك أي مجال للتفكير في الاختيار ... وقد يكون ما يصيبه من مال سببا في انحرافه ... أو سوء عاقبته ... فرحمة الله في أن يحال بينه وبين ما يشقيه أو يؤذيه ...

وأما إذا لقي الإنسان في بعض لحظات حياته ... ما يشقيه ... أو وقعت به واقعة ... فليس ذلك هو الأصل ... وإنما هو أمر قد ناله جزاء سوء عمله ونتيجة لما كان يجب عليه أن يفعله ... وقد فعله. وليس أقطع على صحة هذا القول من الآيات الشريفة والتي نصها :

« وإذَا أَذَقْنا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بها وإنْ تُصِبهمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أيدِيهِمْ إذا هُمْ يَقْنَطونَ » . « ظَهَر الْفَسَادُ في الْبَرِّ والْبَحْرِ بمَا كَسَبت أَيْدِي النَّاسِ لِيُذيقَهُمْ بَعض الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » ، « وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فبِمَا كَسَبتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عنْ كَثِيرٍ » .

وهكذا ما تدبر الإنسان شيئاً إلا ورأى آثار رحمة الله سبحانه وتعالى به تتجلى فيه ... ولا يمكن أن ينتهي الحديث عن

رحمة الله جل شأنه بالإنسان ... فلتكن هذه أمثلة ... وأمثلة قصيرة ... ففي كل شيء ... أي شيء نجد رحمة الله الواسعة .. فهل يستطيع الإنسان أن يلم بكل شيء ... أو يذكر كل شيء ؟ ... ولهذا فإن الملائكة حملة العرش والذين من حوله يقررون حقيقة واقعة عن رحمة الله في نص الآية الشريفة :

« الَّذِينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ ومَنْ حَوْلَه يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبهمْ وَيؤْمِنُونَ بِهِ وَيَستَغفِرُونَ لِلذِينَ آمنُوا ربَّنَا وَسعتَ كلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وعِلْماً » .

فهؤلاء الملائكة ... الذين يحملون العرش ... والملائكة الذين حول العرش وهم يعلمون أكثر مما يعلم غيرهم عن رحمة الله يقررون وهم يدعون الله سبحانه وتعالى بأن يغفر للمؤمنين أن رحمة الله جل شأنه قد وسعت كل شيء قدر ما وسعه علمه ... وأن هذه الرحمة بكل شيء إنما لعلمه جل شأنه بأنه لا يقوم أي شيء في الوجود مهما كان إلا برحمته .

وهكذا يجب على كل إنسان أن يتأكد ويعتقد ويؤمن إيمانه بوجوده أن رحمة الله سبحانه وتعالى إنما تفيض عليه في حياته الدنيا وأنه في كل حركة أو سكنة وفي كل قول أو عمل ... وفي كل سانحة أو بارحة وفي كل جزء من أجزاء جسمه بل في كل خلية من خلاياه بل في كل هباءة مما تتكون منها الخلية إنما تحوطه رحمة الله وترعاه وتحفظه وتعينه وتشمله ... وإذا اطمأن

الإنسان إلى هذه الحقيقة المؤكدة في الحياة الدنيا ... فما أسعده بها وما أسعد أيامه فيها ... إن بعض الناس وقد استولى عليهم الشيطان فأنساهم وهم في غمرات الدنيا رحمة ربهم بهم نجدهم يعيشون حياة قلقة مضطربة... أيا كانت حالتهم.. إذا داهمهم المرض ... أي مرض كان ... أصابهم اليأس فلا يفيد معهم دواء ... ولا ينالهم من العلاج شفاء ... وإن شفوا ... فظاهرياً إذ لا بد أن يترك المرض آثاره التي لا تمحوها الأيام في أجسادهم ... وأما نفوسهم فإنها مريضة أصلا قبل أن تمرض أجسادهم ... إذ أن النفس التي لا تحس برحمة الله تلازمها طوال حياتها هي نفس مريضة بما يستحيل علاجها منه ... فصاحب مثل هذه النفس ... إذ لم يصبه مرض في جسده فإنه يعيش قلقا خوفا من المرض ... فلا بد أن يمرض إن لم يكن بداء معروف فمن خوف المرض ... حتما يمرض ...

وفي غير المرض ... إذا أصابت صاحب هذه النفس كارثة أو وقع في ضيق ... استبد به الألم ... وعصف به الفكر فإنه يعتمد على نفسه في ظنه ... ويظل يبحث عن الأسباب... ويرسم الطرق ... وفي كل هذه الحالات يؤمن بأنه في هذه الكارثة يقف وحيدا ... وأنه في ضيق ... لا يعينه فيه أحد ... وحتى إذا لم تصبه الكارثة أو المصيبة فإنه في قلق من انتظارها ... بل في عذاب من الخوف من وقوعها ... وكثيرا ما يكون احتمال المصاب أخف من ارتقاب وقوعه ...

وأما الذين رفع الله عن قلوبهم حجب الضلالة فتأملوا

وتفكروا وتدبروا وعرفوا الحقيقة ولمسوا آثار رحمة الله بهم واطمأنوا إليها ... فهؤلاء السعداء من البشر ... الذين يمارسون الحياة على صورتها الحقيقية ... يجدون كل ما هم فيه صورة من رحمة الله بهم ... لا يفزعهم ما قد تصيبهم به الحياة ... بل يطمئنون إلى رحمة الله الرحمن بهم والرحيم عليهم . وبذلك فإنهم يعيشون سعداء قدر ما يحسون به من رحمته وما أوسع رحمة الله ... ولذلك فما أوسع ما يحسون به من سعادة ... وحتى إذا ما أصابهم المرض .. اطمأنوا إلى أنه رحمة من الله بهم ... ليرحمهم به ... من شر أكيد ... وليحميهم به ... من عذاب أكبر ... وإذا فشلوا في أمر لم ييئسوا أو يحزنوا معتقدين أن رحمة الله قد تكون فيما لا تهوى الأنفس ...

وتأثير هذا الاعتقاد لا ينصرف إلى صحة الإنسان فقط ولا إلى حالته النفسية بل إنه يتعدى ذلك إلى حياته العملية ويؤثر فيها تأثيراً مباشراً ... فقد أثبتت الأبحاث الطبية والدراسات النفسية أخيراً أن أخطر ما يصيب الإنسان في حياته التشاؤم وأن الإنسان إذا ما أصيب به انعكس شعوره هذا على نفسه فأصابها باليأس والقنوط ويعصف هذا الإحساس بكل مقومات النجاح في الحياة ... فالإنسان المتشائم هو الذي لا يرى في الحياة غير جانبها السيء وهو الذي لا يتوقع سوى السوء من كل من هم حوله... ولا يجد فيما تأتي به الأيام له إلا الشر كل الشر ... وهذا الإنسان يقل نومه ... ويزداد قلقه ... ويفقد السكينة والطمأنينة فإذا به قد اعتل جسمه ... واختل عقله ... واضطرب تفكيره ... ثم

هو يسيء الظن بالحياة وبمن هم في الحياة فلا يجدون منه إلا ما ينفرهم منه ... ويبعدهم عنه ... وفي أول فشل .. بستسلم لليأس ... ويقنط ولا يحاول إعادة الكرة ... أو معاودة المحاولة ... ولذلك فإن علماء النفس وأساتذة الطب والبحاث في علوم الاجتماع ... اتفقت وصاياهم للإنسان على أن يحاول جاهدا أن يكون متفائلا ... وأن يبتعد كل البعد عن التشاؤم ... ولذلك نسمع منهم توصيات بأن يجتهد الإنسان أن ينظر إلى الجانب الطيب في الحياة . وأن يحاول الابتعاد عن أي فكر يحمل في طياته أي معنى من معاني الكآبة أو التشاؤم وينصحون الإنسان بالاختلاف كثيرا إلى أماكن العبادة والحدائق ويدعونه إلى التأمل في كل ما هو جميل وأن يعتقد أن المحبة والسلام هما الأساس في علاقة الناس بعضهم ببعض ... وأن يتسامح مع غيره ... حتى يتسامح غيره معه ... وأن يؤمن إيماناً كاملا ... أنه في هذه الحياة لا يقف وحيداً ... بل إن معه دائما الأصدقاء والأحباء ... وأن ما يجب أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم لبعض هو التعاون ... والتعاون التام الصادق ... وبديهي أن كل هذه الوصايا ... والتوجيهات لا يمكن أن ترقى إلى ما يقرره القرآن الكريم من حقيقة واقعة وهي أن الإنسان دائما وأبدا في رحمة الله ... والإنسان الذي يؤمن ويحس بأنه دائما وفي كل حالة من حالاته في رحمة الله الواسعة ... هو الإنسان المتفائل إلى أكبر قدر في الحياة ... وهو الذي يعيش في حياته سعيدا ... وسعيدا جدا ... فكل ما هو فيه ... إنما هو من

رحمة الله به ... فما أسعده بها ... ولذلك تدعونـــا آيات القرآن الكريم إلى الاطمئنان إلى رحمة الله والفرح بها ... فإن خير ما يجب أن يحرص عليه الإنسان في حياته هو التيقن والإيمان برحمة الله ... وذلك بالنص الكريم :

«قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَالِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» .

مِنْ صُوَرِ الرَّحْمَةِ فِي الآخِرَة

يتكون الإنسان من جزئين مختلفين تمام الاختلاف ... الروح ... والجسد ... أما الروح فإنها نفخة من الله سبحانه وتعالى وهي من أمره وأما الجسد فمن تراب الأرض قد خلقه الله ومن عناصرها أوجده الله ... والإنسان طالما كان حيا بين الأحياء في الدنيا فإنه يعيش بهما سوياً ... فإذا افترقا عاد الجسد إلى أصله ليصبح تراباً ... ورجعت الروح إلى ربها ... وفي طريق رجوعها ... الله وحده يعلم ما تلاقيه من عقاب أو ثواب ... ومن تعب ونصب ... أو من يسر وسهولة وارتياح ...

وبذلك فإن الإنسان في حياته الدنيا ... إنما يعيش تحت تأثير عاملين متناقضين ... وقوتين متضاربتين ... الروح ... والجسد ... فالروح تدعوه إلى ما يسمو به ويرفعه إلى مصاف الملائكة ... إذ تدعوه إلى المحبة وإلى السلام وإلى العبادة والإحسان ... والجسد يدفعه إلى الأرض ويطالبه بالسعي فيها ويزين له كل الطرق التي تؤدي إلى امتلاكها كالصراع والأثرة وحب النفس والتهافت على لذائذها والتمسك بالحصول على

أكبر قدر منها ... ويظل الإنسان بين الدعوة السامية الطاهرة التي تنبعث من روحه للارتفاع به إلى السماء وبين الدفعة القوية التي يدفعه جسده بها نحو الأرض ليعيش كباقي الأحياء ولو من غير بني الإنسان إلى أن تنتهي أيام حياته ... وتنفصل الروح عن الجسد فيبطل تأثير كل منهما عليه حيث تبدأ حياة جديدة للإنسان على غير وخلاف ما كان ...

وهكذا الإنسان في حياته الدنيا بين شد من روحه إلى الارتفاع والاتجاه إلى الخير ... وبين جذب من جسده إلى الانخفاض إلى الأرض وما قد يفعله في سبيل ذلك من الشر ...

وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يخلق الملائكة وسخرها عز شأنه فيما أمر وأراد فخرج منها على إجماعهما إبليس حيث عصى ربه فلما أراد الله جل وعلا أن يأخذ إبليس بذنبه دعاه إبليس أن ينظره إلى يوم الدين ... واستجاب الله ... سبحانه ... ولا بد لوعد الله أن يتم مهما كان من أمر إبليس ... وما أشد ما كان منه ... اذ اتخذ غواية الإنسان وضلاله عملا له ... فيزين له طريق الشر ... ويدعوه اليه ... ويحبب اليه ترك الخير ... ويدفعه إلى الابتعاد عنه ... وشاءت رحمة الله بالإنسان أن تتخذ الملائكة موقفا مضادا لموقف إبليس فهي تتنزل على الإنسان لتحميه منه وتبصره بطريق الخير وتدعوه إليه وتوضح له طريق الشر وتدفعه عنه ... بل إنها لتثير في نفسه ... العزم ... وتبعث فيه الأمل ... ويظل الإنسان بين غواية الشيطان ودعوة

الملائكة طوال حياته ... قد يميل إلى جهة مرة ... وقد يميـــل عنها مرات ... وما ميله إليها ... أو عنها ... إلا بتأثير استجابته لما قد استمع اليه من داخله ...

فالخطأ والذنب هما من صفات البشر ولا بد للإنسان أن يخطيء ولا بد للبشر أن يذنب فآدم الأب الأول للإنسان والذي تتمثل فيه البشرية كلها ... خلقه وخلق زوجته له الله سبحانه وتعالى في الجنة وأحاطهما بكل ما لزم من مأكل ومشرب ولذة ونعيم ونهاهما عن أن يأكلا من شجرة معينة ... شجرة واحدة ... وأباح لهما أن يأكلا ... من مئات الشجيرات غيرها ... رحمة منه سبحانه وتعالى بهما ... وشفقة عليهما ومحبة لهما ... حتى يظلا كالملائكة ... ولكن الشيطان ... وسوس لهما ... كيف لا يأكلان من هذه الشجرة..إن الله نهاكما عنها حتى لا تخالدا ... فلو أكلتما منها ... كان الخلود نصيبكما ... فأكلا .. وارتكبا خطيئة كبرى إذ عصيا الله سبحانه وتعالى فنزلا بسببها إلى الأرض ...

وليس معنى الخطأ والذنب الذي لا بد للإنسان أن يرتكبه في حياته مرة أو مرات ... هو كما قد يتبادر إلى الذهن الوقوع في المعاصي الشديدة أو إتيان الذنوب الكبيرة ... فإن مجـــرد نسيان الإنسان لربه لحظات في يومه ... أو الغفلة عن ذكره لفترات من وقته تعتبر ذنباً وخطأ ... وكذلك عدم شكر نعمة الله .. التي وهبها للإنسان ... وما أكثر ما وهب من النعم

لتعتبر من الذنوب ... بل إن عدم الاجتهاد في العبادة والإخلاص في الطاعة لمن الذنوب التي يجب على الإنسان أن يعد عدته ليستغفر منها على الدوام ... ووسوسة النفس بالاعتراض على ما يتم للإنسان أو الترقب بلهفة وبلا صبر لما يريد دون تسليم الإنسان أمره لله عن طواعية واختيار ... وكذلك عدم الرضا بمواقع القضاء ... لمن الذنوب والخطايا التي يرتكبها الإنسان ... فلا عجب إن وجدنا أنه حتى الرسل والأنبياء كانوا يستغفرون ربهم من أقل من مثل هذه الذنوب ... وقد بدأ الاعتراف بالذنب منذ أن أخطأ وأذنب آدم إذ قال هو وزوجه بما أورده القرآن الكريم بالنص في الآيات الشريفة :

« وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِين . قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

ثم نجد الرسل والأنبياء يستغفرون ربهم ويقرون بذنوبهم ... لغضب أسرع إليهم أو تعجل في استجابة قومهم لما يدعون إليه أو الأسف لانصراف الناس عما يبشرون به ... واعترفوا أن هذه ذنوب يجب الاستغفار منها ...

ففي سيدنا نوح تقول الآيات الشريفة من القرآن الكريم إنه صلى الله عليه وسلم لم يتقبل بالرضا أن يغرق ابنه فدعا الله أن ينجيه فكان هذا ذنبا استغفر الله منه وذلك بالنص الشريف :

« وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمَ الحَاكِمينَ . قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وإِلاَّ تَغفِرْ لِي وتَرحَمْنِي أَكُن مِن الخَاسِرِينَ » .

وهذا نبي الله ورسوله سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم يدخل على الأصنام فيلقيها بيديه فتقع على الأرض ومنها ما يتحطم وينكسر فيسأله قومه وقد عرفوا أنه هو الذي كان قريبا من مكانها ... فيقول لهم إنه فعل كبيرهم هذا ... ويقصد أصبعه الأكبر إلا أنه يريد أن يفهموا أن كبيرهم من الأصنام هو الذي فعل فإذا حاجوه كيف ؟ ... قال لهم اسألوه . وعندئذ يتضح لهم الأمر الحق أن الصنم لا يجيب ولا يدفع الأذى ... وقد اعتقد سيدنا إبراهيم أن قوله هذا سيكون ذنبا ... فاستغفر منه وكان كثير الاستغفار ... وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلهتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَل فَعَلَهُ كَبِيرهُم هٰذَا فَسْئَلُوهُم إِن كانُوا ينْطِقُونَ » .

ثم كان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بنص القرآن الكريم :

« رَبِّ اجعَلني مُقِيمَ الصَّلاةِ ومِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّل دُعَاء . رَبَّنَا اغْفِر لي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ . »

ونبي الله داود صلى الله عليه وسلم يدخل عليه خصمان في أمر لهما فيتذكر بشأنهما ما يجعله يستغفر ربه ويعترف بذنبه إذ تقول الآيات الشريفة :

« وَهَلْ أتَاكَ نَبأُ الْخَصمِ إذ تَسَوَّرُوا المِحرابَ . إذ دَخَلُوا على دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنهم قَالوا لاَ تخَفْ خَصمَان بَغَى بعْضُنَا عَلَى بَعضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بالحَقِّ وَلاَ تُشْطِط واهْدِنا إلَى سَوَاء الصِّراطِ . إنَّ هٰذَا أخِي لَهُ تِسعٌ وتِسعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعجَةٌ واحِدَةٌ فَقَالَ أكْفِلنيها وَعَزَّني في الخِطَابِ . قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بسُؤالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعَاجِهِ وَإنَّ كَثِيراً مِن الْخُلَطَاء لَيَبغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعضٍ إلاَّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وقَليلٌ مَا هُم وَظن دَاوُدُ أنَّما فَتَنَّاهُ فَاستَغْفَر رَبَّه وَخَرَّ رَاكِعاً وَأنَابَ » .

وسيدنا سليمان بعد أن عرف أنه قد فتن استغفر ربه بالنص الشريف :

« وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أنابَ . قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِن بَعدِي إنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ » .

وسيدنا ذا النون غضب إذ لم يستجب له قومه بالسرعة واليسر الذي كان يعتقده فحل عليه جزاء الغضب واعترف بذنبه إذ سبح الله وهو في ظلمات الحوت الذي التقمه بنص الآيات الكريمة :

« وَذَا النُّونِ إذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أن لن نَقدِرَ عَلَيهِ فَنَادَى في الظُّلمَاتِ أن لاَّ إلَهَ إلاَّ أَنتَ سُبْحانَكَ إني كُنتُ مِنَ الظَّالِمينَ . فاسْتَجَبْنَا لَهُ ونَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي المؤْمِنينَ » .

وهذا سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم يذهب إلى ميعاد ربه ليتلقى كلماته جل شأنه ويترك مع قومه أخاه هارون فيعود ليجد القوم قد ضلوا واتخذوا من بعده صنما يعبدونه فألقى الألواح التي نقشت عليها كلمات الله غضبا وهم بأخيه وأخذ برأسه منفعلا يريد أن يعاقبه وكان هذا ذنبا بادر الاستغفار منه وفي ذلك تقول الآيات الكريمة :

« وَلَما رَجَعَ مُوسَى إلَى قَوْمِهِ غَضبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَما

خَلفتمُونِي من بَعْدِي أعَجِلتُم أمرَ رَبِّكم وَألْقَى الألْواحَ وَأخَذَ بِرأسِ أخِيهِ يَجُرهُ إلَيهِ قَالَ ابنَ أُمَّ إنَّ القَوْمَ استَضعَفُونِي وَكادُوا يَقْتُلونَنِـي فَلاَ تُشمِت بِي الأعْدَاء ولاَ تَجْعَلْني مَع القَومِ الظَّالِمينَ . قالَ رَبِّ اغْفِر لِي وَلأخِي وأدْخِلْنا في رَحْمتكَ وأنْتَ أرْحمُ الرَّاحِمِينَ » .

ويحدثنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر نبيه ورسوله سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام بما أنعم عليه بنص الآية الكريمة :

« إذ قالَ اللهُ يا عِيسَى ابنَ مَريَمَ اذْكرْ نِعمتِي عَليكَ وَعلَى والِدَتِكَ إذ أيدتُّكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ في المَهْدِ وَكَهلاً وإذْ عَلَّمتُكَ الكتابَ والحكْمَةَ والتَّوراةَ والإنْجِيل وإذ تَخلقُ مِن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بإذْنِـي فَتنفُخُ فِيها فَتكونُ طَيْراً بإذْنِي وتبْرِئُ الأكْمَهَ والأبْرصَ بإذْنِي وإذ تُخرِجُ المَوْتَى بإذْنِي وإذ كَفَفْتُ بَنِي اسْرائِيلَ عَنْكَ إذ جِئتَهُم بالبيِّنَاتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم إنْ هَذا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ » .

فهل تذكير سيدنا عيسى بهذه النعم إلا للذنب أتاه بالرغم

من هذه النعم أراد الله سبحانه أن يوجه نظره إليه ...

وهذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه والذي شهد له جل شأنه بأنه على خلق عظيم نجده رغبة منه صلى الله عليه وسلم في الاجتهاد في الدعوة إلى دين الله ... يقبل على كبار القوم يجادلهم ويناقشهم ويطيل حديثه معهم لعلهم يهتدون ويعرض عن فقير أعمى جاءه وهو في هذا الموقف يسأله عن بعض شأن الإسلام ... فنزلت آيات الله توجه نظر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها من العتب ما يوحي بوجوب الاستغفار . وكذلك يستغفر الرسول لبعض أهله بعد موتهم فتنزل الآيات الشريفة لتقرر أن الله سبحانه وتعالى لم يستجب لهذا الاستغفار مما يوحي بأن هذا الموقف في حاجة إلى استغفار ... ويتعجل رسول الله هداية قومه ... ويجاهد في الله حق جهاده ... ويبذل في سبيله كل ما يسعه الجهد ... ثم نرى أن الآيات الشريفة من القرآن الكريم تقرر أن الله سبحانه وتعالى قد غفر له ذنبه ما تقدم وما تأخر وذلك بنص الآية الكريمة :

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتحاً مُبِيناً . لِيغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعمتَهُ عَلَيْكَ ويهْدِيكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً » .

فالإنسان إذاً... أي إنسان لا بد له من أن يخطىء في حياته

الدنيا ... أيا كان قدر هذا الخطأ ... ونوعه ... ومدته ... ودرجة الإصرار عليه ... فمثلا لا يمكن للانسان مهما أوتي من القوة ومهما وجد السبيل ، أن يعبدالله بالقدر الواجب عليه ... أو أن يشكر النعم التي وهبها له ... فهو في نعمة ... ومن نعمة ... فهل يمكن للانسان أن يوفيها حقها ... وإذا كان الله سبحانه وتعالى لا ينسى أي عبد من عباده ليلا أو نهاراً ... فهو يحرسه ... ويرزقه ... ويرعاه ويحفظه ... ينام العبد ... وربه لا ينام ... حتى تظل الحياة قائمة ... ويظل الرزق مكفولا ... فهل ترى يذكر الإنسان ربه ... كما يجب عليه ؟ ... كم ينسى العبد ؟ ... وكم يسهو ؟ ... وكل ذلك في حاجة إلى استغفار ... فكيف بالذنوب والمعاصي التي يرتكبها الإنسان طوال يومه ... فهل يتصدق الإنسان بالقدر الذي يجب عليه ؟ ... وهل يرعى أهله الرعاية التي أرادها الله ؟ ... وهل يصل رحمه كما يجب ؟ ... وهل يعطي من قوته لجاره الجائع ؟ وهل يخرج زكاة ماله كاملة ... ومن خيره ؟ ... وهل يصدق مع ربه وعلى نفسه ومع الناس ؟ ... وهل حفظ بصره من كل ذنب وخطأ ... وهل استعمل لسانه فيما خلق من أجله ؟ ... وهل يؤدي فرائض ربه وكأنه يتأكد من أنه حقا وصدقا بين يدي الله ؟ ... هل وقف يوما في الصلاة واستشعر أنه في تلاوته إنما يخاطب الله جل شأنه ؟ ... وكيف كان حاله إذاً ؟ ... ألا ما أكثر الخطايا التي يرتكبها الإنسان ... طوال يومه ... هذا إذا لم يرتكب كبيرة من سرقة أو قتل أو زنا ... أو يشرب

خمراً أو يلعب ميسراً ... وكذلك إذا لم يذنب ذنبا من قلبه دون يده ... كحقده على غيره ... أو حسده صاحبه ...

أفليس من العدالة المطلقة التامة أن كل ذنب أو خطأ لا بد لمرتكبه أن يحاسب عليه وأن ينال به عقابه مخففاً أو مشددا ... رمزيا أو رادعا .. فلا بد من العقاب ... وهذا هو العدل المطلق ... ولذلك نجد أن العقاب والعذاب قد ترددت ألفاظهما في القرآن الكريم أكثر من أربعمائة مرة في مثل الآيات الشريفة :

« وَاتَّقُوا اللهَ واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » .

« إنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ » .

« ولَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذابِ » .

« وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعذابُ » .

وأما جهنم باعتبارها مقر العذاب فقد وردت في سبع وسبعين آية مثل الآيات الشريفة :

« وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّم يَوْمَئِذ يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ وأَنّى

لَهُ الذِّكْرَى » .

« وَلَوْ شِئْنا لأَتَيْنَا كلَّ نَفْسٍ هُدَاها ولكِن حَقَّ الْقَوْل مِنِي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجْمَعينَ » .

وتقرر آيات القرآن الكريم أن الإنسان باعتبار أنه لا بد أن يخطىء فكان حتما عليه أن يرد على جهنم ويختلف الناس في ذلك ... فمنهم من يرد عليها وتشمله رحمة الله فتنجيه منها ... ومنهم من يظل لفترة أو فترات ... أو زمن أو زمان أو يخلد فيها والعياذ بالله وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« وَإن مِنكُم إلاَّ وَارِدُها كان عَلَى رَبِّكَ حَتماً مَقْضِياً . ثمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمينَ فِيهَا جِثِيّاً » .

وأما الأهوال التي يجدها الإنسان في جهنم فهي أقسى من أن توصف وأشد من أن تذكر وأفظع مما يمكن تخيله ... فالعذاب الحسي الذي يصاب به الإنسان بحريقها الذي لا يقاس بما نعهده أو نعرفه من النار إنما هو عذاب فظيع ومستمر ... لا تخبو حدته ... أو تنكسر شوكته أو تقل درجته ... ويتجدد في الجسم بإرادة الله الجلد ... وقد أثبت العلم أخيرا أن مراكز الإحساس في الإنسان في جلده إذ أن طبقة المراكز العصبية التي تجعل الإنسان يشعر بما يقع عليه هي في جلده ... فالله سبحانه وتعالى يأمر بأن تبدل الجلود بغيرها كلما نضجت وبصفة مستمرة

ودائمة حتى يستمر ويستديم إحساس الإنسان بألم الحريق وذلك بنص الآية الشريفة :

« إن الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوفَ نُصليهِم نَاراً كُلَّمَا نضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلناهُم جُلُوداً غَيرها لِيَذُوقُوا العَذَابَ إنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً » .

وإذا كان الإنسان يتعذب ويتألم في حياته إذا ما ارتفعت حرارة جسمه درجة أو بعضها ويظل في حيرة وشقاء يستخدم الطب ويقبل على العلاج ... فكيف به لو ارتفعت ملايين الملايين من الدرجات وهو في مكان لا ظليل ولا يغني عن اللهب ... لا تخفف فيه النار بل هي في زيادة واشتعال ... بل إن النار لتفور وتزيد اشتعالا من غيظها من الإنسان إذا ما ألقي فيها بالنص الكريم :

« وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِهِم عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المَصِيرُ . إِذَا أُلقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِي تَفُور . تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيظِ كُلَّما أُلقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خزنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُم نَذِيرٌ » .

وإذا كان الإنسان لا يتحمل الماء إذا ما زادت عليه حرارته فكيف به وقد دخلت فيه المقامع من الحديد وتصب في جسده

السوائل التي اختلطت ببعضها لترفع من درجة حرارتها إلى غير ما عهد الإنسان وإلى أعلى ما يظن أو يقدر وتنزل هذه السوائل على هذه الدرجة في الإنسان لتصهر ما في بطنه وما بداخلـــه وخارجه ... ويستمر هذا حاله .... وكلما اعتقد أنه قد انتهى عذابه أعيد مرة ومرات وذلك بالنص الكريم :

« فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُم ثِيَابٌ مِن نَارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِم الحَميمُ . يُصهر بِهِ مَا فِي بُطُونِهِم والجُلُودُ . وَلَهُم مقَامِعُ من حدِيد . كُلَّما أَرَادُوا أن يَخْرُجُوا مِنها مِن غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » .

والإنسان إذا استشعر في حياته أن كبيرا له أو رئيساً عليه قد أهمله ... فإنه يصيبه من الألم قدر ما لا يستطيع دفع هذا الإهمال عنه ويحاول أن يخرج أو يبتعد عن مجال ضرورة الاتصال به ... أما إذا كان لا مفر من التعامل معه ... والبقاء عنده ... فإن حياته تكون بذلك عذاباً مستمراً وألما مستديما ... فإذا كان هذا شأن الإنسان مع أخيه الإنسان ... في حياة إن طالت فهي قصيرة ولا بد له أن يفارق من سبب ألمه ... بموت أحدهما ... فهل تخيل الإنسان كيف يكون حاله مع رب العالمين ... إذا لم يكلمه الله ... أو يزكيه أو ينظر إليه ... طوال حياة الخلود التي لا تنتهي أبد الآبدين ... وفي ذلك تقول آيات القـــرآن الكريم :

« إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَل اللهُ مِن الكِتابِ وَيَشْتَرُون بِهِ ثمناً قَليلاً أُولٰئِكَ مَا يَأْكلون فِي بُطُونهمْ إلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكلِّمُهُم اللهُ يَوْمَ الْقيامَةِ ولا يُزكِّيهمْ وَلَهمْ عَذَابٌ أَليمٌ » ، « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهدِ اللهِ وَأَيمَانِهِمْ ثَمناً قَليلاً أُولٰئِكَ لاَ خَلاَقَ لهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِليهِم يَومَ الْقِيَامَةِ ولا يزُكِّيهِم وَلَهم عَذَابٌ أَليمٌ » .

وبذلك تتنوع صور العذاب وتختلف ألوان العقاب ولكنها كلها تتفق في أنها مما لا يطاق ولا يحتمل ... ولكن أليس العدل كل العدل في أن يجد كل إنسان ما يستحقه على ما يقدمه من عمل ؟ ... والإنسان مهما عاش في الحياة وظل طوالها في عبادة مستمرة لله ... أيكفي ذلك لشكر نعمة واحدة مما أنعمه الله عليه ... ؟ فكيف بنعمة الحياة نفسها وكلها ؟ ... ألم يخلق الله الإنسان برحمته ومن عدم أوجده ؟ ولم يكن الإنسان شيئاً فأراد الله به خيرا فخلقه فكيف إذا يمكن شكر الله وحمده على أن خلقه ...

ولو كان العدل هو أساس الحساب في الآخرة ... ما خلقت الجنة وما كان عرضها كعرض السماوات والأرض ... ولكن الرحمة التي شمل الله سبحانه وتعالى بها عباده في الحياة الدنيا والتي تفوق التصور وتزيد على التخيل إنما هي آثار من

الرحمة التي ادخرها لعباده في الآخرة ... وهي جزء لا يكاد يذكر من قدر الرحمة التي يفيض بها على عباده يوم الرحمة ...

فلقد أعد الله جل شأنه للانسان من أسباب السعادة في الآخرة ووسائل التنعم فيها ما لا يخطر على بال الإنسان ولا تستطيع إدراكه عقول البشر ... وكما هو الحال في الدنيا إذ يختلف البشر في طرق إحساسهم بالسعادة واللذة فمنهم من يقبلون على الغذاء الجيد والشراب الطيب ولا يجدون سعادة في غير طعامهم أو شرابهم ... فغيرهم يجدون المتعة الكاملة والسعادة التامة في الاستماع إلى لحن أصيل أو التطلع إلى منظر جميل ... وفئة أخرى تجد متعتها في إسعاد الروح عن طريق صلاة عميقة أو تسبيح طويل ... وغيرهم يزيد عليهم في العبادة التأمل والفكر طالما قد وهبوا مجالاته ووجدوا ميدانه ... وهكذا تتعدد طرق سعادة البشر ... والله سبحانه وتعالى قد أوجد لكل هذه الفئات من البشر على اختلافها مسببات سعادتهم في الدنيا بما وهب لهم من عديد الأصناف والأنواع مما خلقه من الأرض من نبات وحيوان مختلف ألوانه متغاير أشكاله متعدد طعومه ومذاقه ... وخلق لهم الطيور المغردة وألهمها ألحانها ... وصور لهم الطبيعة وأوضح جمالها ... وأرسل لهم الرسل يعلمونهم ... الصلاة ... ويسمعونهم ألفاظ التسبيح ... ولذلك فإن الله جل شأنه قد أوجد لكل فئات البشر وسائل إسعادهم في الآخرة كل بقدر ما يشتهي وبلون ما يحب ... ولكن لا بقدر ما وجد في الدنيا ولكن بقدر ما تستحق الآخرة ... فقد أعد للفئات التي

تجد سعادتها فيما تتناوله من الطعام والشراب ... مثله مع الفارق. فالفاكهة التي يختارها العبد دون انتظار لوقتها أو ترقب لأوانها ... وأصناف الطعام الأخرى مما يشتهيها الإنسان ... وحتى تتم سعادته فإن هذه الأصناف والأنواع تأخذ شبه ما وجدها عليه الإنسان في الدنيا حتى لا يختلط عليه الأمر أو يعجز عن معرفتها وذلك بنص الآية الكريمة :

« وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنها من ثَمَرةٍ رِزْقاً قالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً » .

... بل إن الإنسان ليجلس إلى هذا الطعام والشراب وهو في أحسن صوره وأشهى ألوانه بطريقة تثير في نفسه السعادة الكاملة وتوفر له المتعة المطلقة فهو ومن يحبهم على فراش وثير يجلس جلسة مريحة إلى أقصى حدود الراحة ويقابل هؤلاء الأحبة في هذه الجلسة زيادة في توفير المتعة بأن يقع نظره على من يريد ... وحاجتهم من الشراب الطاهر يجدونه في أكواب وأواني جميلة كأحسن ما يتخيل الإنسان ... ويمر به عليهم سقاة يرتاح الإنسان لرؤياهم ... ويختلف هذا الشراب عن غيره مما يعرف الإنسان في أنه لا يسبب أذى أو ضرا ... ومهما طال الأكل وامتد وقت الشراب لا يسمع الإنسان في جلسته ما يتوقع بخياله الدنيوي من لغو الكلام أو الأثيم منه ... بل لا يسمع من

القول إلا أكمله ومن الكلام إلا أحسنه ... السلام ... السلام ... وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولٰئِكَ المقَرَّبُونَ . في جَنَّاتِ النَّعِيمِ . ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ . عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ . مُتَّكِئِينَ عَلَيهَا مُتَقَابِلِينَ . يَطُوفُ عَلَيهِم وِلْدَانٌ مُخَلدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وكَأْسٍ من مَعِينٍ . لا يُصَدَّعُونَ عنها وَلا يُنزِفُونَ . وفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمثالِ اللُّؤْلؤِ المكْنُونِ. جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْملونَ . لا يَسْمعُونَ فِيهَا لغْواً ولا تَأْثِيماً . إلاَّ قِيلاً سَلاماً سلاماً » .

وأما هؤلاء الذين يجدون المتعة في التطلع إلى المنظر الجميل أو اللوحة الرائعة فإن في النظر إلى غرف الجنة تجري من تحتها الأنهار لسعادة لا يمكن للانسان وصفها فإن الله جل شأنه قد صور لنا ما يقرب منظر الجنة لعقل الإنسان في آيات كثيرة من القرآن الكريم :

« لكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم لَهُم جَنَّاتٌ تَجْري مِن تَحتها الأَنهارُ خَالِدِينَ فيهَا نُزُلاً مِن عِندِ اللهِ وما عِندَ اللهِ خَيرٌ للأَبْرَارِ » .

والذين يجدون متعتهم في الصلاة والتسبيح والحمد سيجدون في الجنة وسيلة لسعادتهم ولكن بطريقة أوسع وقدر أكبر ومتعة أعظم وما أسعد الإنسان لو كان من هؤلاء الذين تقول عنهم الآيات الشريفة :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحتِهِم الأَنهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعيم . دَعواهمْ فيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وتَحِيَّتُهُم فيها سَلامٌ وَآخِرُ دَعوَاهُم أَنِ الْحَمدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمينَ » .

وأما هؤلاء الذين كتب الله سبحانه وتعالى لهم أن يجعلهم في قمة السعادة ... فهم الذين لا يبغون من الجنة غرفا أو أنهاراً ولا يطلبون فيها طعاماً أو شرابا ... ولكنهم وقد رأوا الحق سبحانه وتعالى ... فإنهم لا يريدون ... ولا يمكنهم قطعاً أن يريدوا غير النظر إلى وجه ربهم ... والخلود الأبدي على هذه الحالة ... وهؤلاء الذين تقول عنهم آيات القرآن الكريم الشريفة :

« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » .

والقرآن الكريم حينما أورد في آياته الشريفة الوسائل المختلفة لإسعاد الإنسان في الجنة من طعام وشراب وأزواج وزوجات ، غرف وأنهار فليس ذلك على سبيل المشاهدات الواقعية وإنما تلك أمثلة مما تقبله عقول البشر الحسية ... ويقع تحت معارفهم

المادية ... وإنما حقيقة وسائل الإسعاد في الجنة ... لمختلف فئات البشر أمر لا يمكن للعقل أن يحيط به ... أو يتخيله لأنه فوق مستوى العقل ... وأكبر من قدرة الإنسان على أدراكها ... ولذلك تقرر آيات القرآن الكريم أن ما جاء بخصوص الجنة إنما هو على سبيل المثال حتى يمكن للانسان بعقله المحدود أن يعرف أن السعادة التي سيكون عليها في الجنة هي على أقصى طاقة من التخيل يمكنه أن يستطيعها ... وإلى أكبر قدر يمكن أن يستوعبه ... وفي ذلك تقول آياته الشريفة :

« مَثلُ الجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ المتَّقُونَ فيهَا أنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيرْ آسِنٍ وَأنهَارٌ مِن لبَّنٍ لم يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لذَّةٍ لِلشَّارِبينَ وَأنهارٌ منْ عَسَلٍ مُصفّى ولَهم فيهَا منْ كلِّ الثَّمرَاتِ ومَغفِرَةٌ منْ رَبهم » ، « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ المتَّقُون تَجْري منْ تحتِهَا الأنْهَارُ أُكلُهَا دَائِمٌ وظِلُّها تِلكَ عُقبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وعُقْبَى الْكافِرِينَ النَّارُ » .

فأي ألفاظ عن قدر الجنة ... وأي وصف للنعيم فيها ... فالحقيقة أكبر وأكثر من ذلك ... بل وغير ذلك ... إنها الجنة ... جنة الله ... وفيها ما لا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ...

وطول الجنة وعرضها وارتفاعها ومساحتها وحجمها أمر

يؤكد رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان في الآخرة ... ويترك لكل عقل الفرصة لأن يتأمل ويتخيل ويتفكر ثم يتصور قدر هذه الرحمة ... فالإنسان يعيش على الأرض وإن كان قد تداول عليها آلاف الأجيال ... ألا تكفيهم جميعاً الأرض لو اجتمعوا مرة واحدة عليها مهما كان عدد هذه الأجيال السابقة علينا واللاحقة لنا ...؟ لا سيما ونحن نعرف أن الإنسان لا يسكن إلا جزءاً ضئيلا منها إذ أن اليابس من الأرض لا يتجاوز خمسها والباقي ماء ... وهذا الخمس من الأرض فيه من الصحاري والجبال والمناطق غير الصالحة للسكن ما يشغل مكانا كبيراً منه ... وحتى هذا الجزء الصغير من الخمس الذي يصلح لسكنى الإنسان أكثره أراضٍ زراعية ومستنقعات وطرق وجسور وغير ذلك مما لا يسكن عليه الإنسان فعلا ... فكأن الإنسان لا يشغل إلا حيزاً لا يكاد يذكر منها ... فالأرض على ذلك إنما تتسع من أجيال الإنسان عدداً كبيراً إن لم تتسع لهم جميعاً ... فإذا كانت سعة الجنة كسعة الأرض ـ ألا يطمع كل مذنب من بني الإنسان في رحمة الله ؟ ... باعتبار أنها قد تتسع لأجيال الإنسان أو على الأقل لأغلبهم ... فكيف وعرض الجنة فقط عرض السماوات والأرض وذلك بنص الآيات الشريفة :

« وسَارِعُوا إلى مَغفِرَةٍ من ربكُم وجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماوات والأَرْضُ أُعِدَّت لِلمتَّقين » . « سَابِقُوا إلى مغفِرَةٍ من رَبكُم وَجَنَّـةٍ عَرْضُها كَعرضِ السَّماءِ والأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذين

آمنُوا باللهِ ورُسُلِهِ » .

ونحن نعرف أيضاً أن الأرض لا تعتبر شيئاً يذكر بالنسبة للسماوات ... وإذا كان هذا هو العرض ... فكم يكون الطول ... إذا كان الطول سيختلف عن العرض كما هو متوقع من سياق الآيات الشريفة إذ أن ذكر العرض إنما يعني وجود طول مغاير له ... ولا بد أن يكون الطول أكبر من العرض ؟ ... وكم يبلغ ارتفاعها ؟ ... وترى كم تكون مساحتها ! ... وكيف يكون حجمها ! ... والأهم ... كم تكون سعتها ... !

وهذه الجنة أعدت لبني الإنسان فقط ... وليس لغيره من الأحياء ... ممن خلقهم الله في أكوان أخرى ... والله أعلم ... إذ أن آيات القرآن الكريم تشير إلى أن هذه الجنة إنما لمن يتبعون الرسل والانبياء الذين أرسلهم الله للبشر من بني الإنسان في الأرض وذلك بنص مثل الآيات الشريفة :

« أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدْخُلوا الجَنَّةَ ولمَّا يَأْتِكُم مثلُ الَّذِينَ خَلوا منْ قبْلِكُم مَستهم البأْساءُ والضَّراءُ وزُلْزِلوا حَتَّى يَقُول الرَّسُولُ والَّذينَ آمنُوا معَهُ متَى نَصْرُ اللهِ ألا إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ » ، « وَقيلَ للَّذِينَ اتَّقَوا ماذا أَنْزَلَ ربُّكُم قالُوا خَيراً لِلَّذِينَ أَحسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرةِ خَيرٌ وَلَنِعْم دَارُ المتَّقِينَ . جَنَّاتُ عَدنٍ يدْخُلُونَهَا تَجْرِي

مِن تَحتها الأَنْهَارُ لَهُمْ فيهَا ما يَشَاءُون كَذَلِكَ يَجزِي الله المتَّقِينَ » .

وإن قدر اتساع هذه الجنة بحيث أنها تصبح ولا يستطيع الإنسان إدراك طولها أو عرضها أو ارتفاعها أو سعتها ... فعرضها كالسماء والأرض ولا نهاية لعرض السماء وحدها ... فيما نقدره ... ليدل دلالة واضحة ويشير إلى رحمة الله بالإنسان في الآخرة ... الرحمة الواسعة التي لا نهاية لها إطلاقا ... واتساع الجنة ... هذا الاتساع الكبير ... إنما يعني أن لكل إنسان جنة ... بل لكل إنسان أكثر من جنة ... وهذا ما تؤكده آيات القرآن الكريم وتحققه هذه الأبعاد ... فالآيات الشريفة تقول :

« وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » ، « وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحتِها الأَنهَارُ خَالِدِين فيها وَذلِكَ الْفَوْزُ العَظيمُ » .

فمن الناس من له جنة واحدة ومنهم من له جنتان ... ومنهم من له جنات أكثر من الاثنتين وكل جنة تشمل كل ما يفيض على صاحبها بالسعادة التامة المطلقة ... لا كما عهد ... ولا كما عرف ... ولا كما يتخيل ... بل أكثر وأوسع وأفضل .

ومن شواهد رحمة الله بالإنسان في الآخرة أننا نجد أنه بينما ورد لفظ الجنة المفردة في القرآن الكريم ٦٧ مرة مثل :

« وَاللهُ يَدْعُو إلى الْجَنَّةِ والْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ »

وورد اللفظ مثنى ٣ مرات مثل :

« مُتكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِن إسْتَبرَقٍ وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ » .

ووردت الجنة بلفظ الجمع ٦٩ مرة مثل :

« ومَن يُؤمِن باللهِ وَيَعمَل صَالِحاً يُدْخِلهُ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنهارُ خَالِدينَ فِيها أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزقاً » .

فإن جهنم لم ترد في القرآن الكريم إلا باللفظ المفرد فليس هناك سوى جهنم واحدة وقد وردت ٧٧ مرة في مثل الآيات الكريمة :

« هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ » .

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجدها تفيض بأدلة رحمة الله جل شأنه بالإنسان في الآخرة ... فالخلود الأبدي للانسان في الآخرة قد ورد في اثنتي عشرة آية شريفة تسع منها تخص خلود الإنسان الأبدي في الجنة مثل :

« وَمَن يُؤمِن باللهِ وَيَعْمَل صَالِحاً يُدْخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرِي

مِن تَحتها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَداً قد أحسَنَ اللهُ لَه رِزْقاً » ، « والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُم جناتٍ تجرِي مِنْ تحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فيها أبدًا وَعْدَ اللهَ حقاً ومَن أصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً » .

ولم يرد الخلود الأبدي للانسان في النار إلا في ثلاث آيات فقط مثل :

« وَمَنْ يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فإنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِين فِيها أَبَدًا » .

وأما قدر رحمة الله بالإنسان في الآخرة ... والجنة وما فيها إنما هو إحدى صور هذه الرحمة . فإنه مهما وصف الإنسان أو تخيل ومهما وجد من آثار رحمة الله به في الدنيا ومهما عاش في صورها في حياته وسعد بمختلف ألوانها في عيشته فإن رحمة الله به في الآخرة أضعاف أضعاف ما يعتقد أو يظن أو أحس ... وعندما يصف الحق سبحانه وتعالى بنفسه رحمته بالإنسان في الآخرة فلا يحتاج الأمر بعد ذلك إلى قول أو تفصيل ... إن رحمة الله تتسع لكل شيء أو أي شيء . إن هذه حقيقة لا بد للانسان أن يؤمن بها إيمانا لا يداخله فيها أي شك إذ يقول الله عز وجل في قرآنه الكريم :

« ورَحمَتِي وسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » .

وعندما يقرر الله سبحانه وتعالى في آياته الكريمة جل شأنه

أنه قد كتب على نفسه الرحمة بنص مثل الآية الشريفة :

« قُل لِمن مَّا فِي السَّماوَاتِ والأَرْضِ قل للهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحمَةَ ليَجمَعَنَّكُم إلى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ » .

فإنما ليتأكد الإنسان أنه سيكون في رحمة ربه ... الرحمة الواسعة التي تتسع لكل شيء ... وأي شيء ... وأن رحمته بالإنسان قد أصبحت أمرا مؤكدا ومقررا يقينا فقد كتبها الله بنفسه على نفسه جل شأنه ... وتقدست ذاته ... وتعالت صفاته.

والطريق إلى ابتغاء الإنسان رحمة الله جل شأنه في الآخرة.. والجنات وما فيها وهو أحد صور الرحمة ... ليس كما يعتقد الإنسان بالأمر الصعب أو الشيء المتعذر ... بل إنه من أيسر ما يستطيعه أي إنسان وأقرب ما يظن وأسهل مما يرجو ... وذلك أيضا من شواهد رحمة الله بالإنسان في الآخرة الرحمة الواسعة.. فيكفي للإنسان أن يستغفر ربه ... ليكون في رحمته الواسعة في الآخرة ... وما أيسر الاستغفار وما أسهله ... ولو تأمل الإنسان نفسه لوجد أنه ينبعث من نفسه النداء الخفي بالاستغفار ... ولو أنصت بجوارحه واستمع بإحساسه لوجد قلبه يدفعه إلى الاستغفار ... فالإنسان خطاء ولا بد ... مذنب ولا شك ... وكل إنسان أيا كان ... يحس بعد الذنب مباشرة بالأسف ... ويشعر بعد الخطأ فورا بالندم ... وهذا الإحساس والشعور إنما هو السبيل الذي يدفعه إلى الاستغفار ... فمن هدى الله قلبه

أطاع وجدانه واستجاب لفطرته فإنه يستغفر الله بعد الخطأ والذنب ... إذ أنه من ضمن النعم التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على عباده... ليبتغوا بها رحمته الواسعة... والمتدبر للاستغفار يجد أنه عبادة لله في صورة صادقة وخالصة ... فالمستغفر قد اعترف بذنبه وأقر بخطئه وهو يؤمن بربه ... لا شك ... إذ لجأ إليه ... ويشهد بغفرانه للذنب يقينا إذ دعاه ليغفر له ... ولذلك فإن المستغفر في رحمة الله بالنص الكريم

« وَمَن يَعمَل سُوءاً أَوْ يَظْلِم نَفْسَهُ ثُمَّ يَستَغفِر اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحيماً » .

بل إن الاستغفار أيضاً سبيل ابتغاء رحمة الله في الدنيا إذ به يهيىء الله جل شأنه للانسان كل أسباب المتعة الحسنة في الدنيا وذلك بالنص الكريم :

« وَأَنِ استَغفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إليهِ يُمَتعكُم مَتَاعاً حسَنَاً إلى أَجَلٍ مُسَمّى » .

ويبسط له به أسباب الرزق والقوة بالنص الشريف :

« ويَا قَوْمِ استَغفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إليهِ يُرسِل السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ويَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ ولا تَتَولوا مُجرِمينَ » .

فهو بذلك طريق إلى رحمة الله في الدنيا والآخرة فبه يرزق الله الإنسان بالأموال والبنين في الدنيا ويجعل له به الجنات بما فيها من خير ونعيم وذلك بالنص الكريم :

« فَقُلْتُ استَغفِرُوا رَبَّكُم إنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً . ويُمْددكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ويَجْعَل لَكُم جَنَّاتٍ وَيَجعَل لَكُم أنهاراً » .

لذلك كانت دعوة الرسل والأنبياء لأقوالهم ووصاياهم لهم بالاستغفار دائماً ... كما كانوا في ذلك القدوة لهم إذ كانوا يكثرون منه ... وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم في سيدنا إبراهيم إذ يستغفر الله لأبيه :

« قَالَ أَراغِبٌ أنتَ عَن آلِهَتِي يا إبْرَاهِيمُ لَئِن لم تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ واهْجُرْنِـــي ملياً . قَالَ سلاَمٌ عَلَيْكَ سأَستغفِرُ لَكَ رَبي إنَّهُ كَانَ بِي حَفِياً »

وفي سيدنا نوح :

« ثُمَّ إنِّي دَعوتُهُم جِهَاراً . ثُمَّ إنِّي أَعْلَنتُ لَهم وَأسْرَرتُ لَهُم إسْرَاراً . فَقلْت استغفِرُوا رَبَّكُم إنَّهُ كَانَ غَفَّاراً » .

وفي سيدنا صالح :

« وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُم صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِن إِلاهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرضِ واسْتَعمَرَكُم فِيهَا فَاستَغفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ » .

وفي سيدنا هود :

« وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُم هُوداً قَالَ يا قَوْمِ اعبُدُوا الله مَا لكُم مِن إِلاَهٍ غَيرُهُ إِن أَنتُم إِلا مُفتَرُونَ . يَا قَوْمِ لاَ أَسأَلكُم عَلَيْهِ أَجراً إِن أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعقِلُونَ . ويَا قومِ استَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِليْه » .

وفي سيدنا شعيب :

« وَيَا قَوْمِ لاَ يَجرِمَنَّكُم شِقَاقِي أَن يُصيبَكُم مِثلُ ما أَصَابَ قَومَ نُوحٍ أَو قَوْمَ هُودٍ أَو قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَومُ لُوطٍ مِنكُم بِبَعيدٍ . واستَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِليهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ » .

وفي سيدنا داود :

« وظَنَّ دَاودُ أَنَّما فَتَنَاهُ فاستَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَر رَاكِعاً وَأَنَابَ » .

وفي سيدنا موسى :

« قالَ رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فاغْفِر لِي فَغَفَر لَهُ إنَّه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

وفي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كافة الرسل والأنبياء وسلم :

« وَمَا أرسَلنا مِن رَسُولٍ إلاَّ لِيُطَاعَ بِإذْنِ اللهِ وَلَوْ أنَّهُم إذْ ظَلَمُوا أنفُسَهُم جاءُوكَ فاستَغْفَرُوا اللّهَ واستَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجدُوا اللّهَ تَوَّاباً رَحيماً » .

وحتى يتأكد في ذهن الإنسان فضل الاستغفار ويعرف عظم شأنه فإن الله سبحانه وتعالى جعله في مقام وجود سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قومه إذ يقول جل شأنه لنبيه في قرآنه الكريم :

« وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم وَأنْتَ فِيهِم وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُم وَهُم يَسْتَغْفِرُونَ » .

... وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يقول بعد وفاة الرسول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا ...

ألا ما أقرب الطريق إلى رحمة الله في الآخرة إذ ما أسهل الاستغفار وأيسره ، وما أفضل أن يستغفر الإنسان لينال رحمة الله في الدنيا والآخرة ... وبذلك ما أعظم الاستغفار وما أوجبه..

والاستغفار الّذي طالبنا به القرآن الكريم والذي يهدي الإنسان إلى رحمة الله ليس بألفاظ يرددها الإنسان دون أن يعنيها بل لا بد أن يعزم على تنفيذ ما يهدف إليه الاستغفار... فالاستغفار وهو إقرار بالذنب واعتراف بالخطأ والتجاء إلى الله ليغفر للانسان هذا الذنب والخطأ ... إنما هو يحمل في معناه العهد بعدم العودة إلى مثله مرة أخرى... وإلا لم يكن الاستغفار كاملا... مستوفيا أركانه ... تامة شروطه ... وإذا عاد الإنسان مرة أخرى إليه بعد نيته الصادقة بألا يعود عليه ... فيمكنه معاودة الاستغفار ... والنية بعدم العودة إليه ... ولذلك نجد أن التوبة والاستغفار يجتمعان في كثير من الآيات التي تختص بالاستغفار أو التوبة مثل :

« هُوَ أَنْشَأَكُم مِن الأَرْضِ واستَعْمَرَ كَمفِيهَا فاستَغفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إليهِ إنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ » ، « أَفَلاَ يَتُوبُونَ إلى اللهِ وَيَستَغفرُونَهُ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

« وَيا قَوْمِ استَغفِرُوا رَبّكُم ثُمَّ توبُوا إليهِ » .

وبذلك فإن التوبة من ضمن الطرق التي توصل الإنسان إلى

رحمة الله سبحانه وتعالى في الآخرة ... ويجب حتى تكون التوبة كاملة الأركان أن يرد الإنسان ما قد يكون اغتصبه من غيره من حقوق وإذا استعصى ذلك فيكون سماح صاحب الحق عن حقه المغتصب أمرا واجبا ... وإذا خشي الإنسان من التصريح لصاحب الحق بما اغتصبه منه ... خوفا من شر مؤكد يحدث فيما لو علم ... فيكون بأن يطلب الإنسان من صاحب الحق أن يسامح كل أخاه فيما قد يكون عنده من حق ... ولا بد من الندم على ما قام به الإنسان والعزم على ألا يعود لمثله ... وأما ذنوب الإنسان نحو نفسه ... أو ذنوبه فيما لا يؤذي غيره ... فإن الله غفور لذنوب عباده ... وكل من تاب إلى الله ... فإن الله به رحيم ... فيقول سبحانه وتعالى .

« كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تَاب من بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ » .

ويقول كذلك جل شأنه :

« إِنَّما التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلذِينَ يَعمَلونَ السوء بجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِم وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً » .

وهكذا تحدد الآيات الشريفة في شأن التوبة أركانا لها ... هي أن يكون ارتكاب الإنسان للذنب بجهالة أي طغت عليه

الرغبة في فعله فلم يستطع المقاومة فاندفع إلى الذنب ... وأن يتوب الإنسان فور ارتكابه الذنب ... وأما إذا استمر الإنسان يرتكب ذنوبه حتى وصل إلى السن التي تمنعه من إتيان الذنب ... وأعلن توبته ... فإنها لا تكون توبة ... والله أعلم ... فتوبة الشاب وهو قادر على المعاصي ... هي التوبة التي يقبلها الله ... وأما إذا ظل الإنسان على حاله من ارتكاب الذنب إلى أن يشعر باقتراب أجله ثم يتوب فإن الله سبحانه وتعالى يقول عن هذا وأمثاله ما نصه :

« وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُم المَوتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُون وَهُم كفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدنا لهُم عَذَاباً أَلِيماً » .

والمتدبر للحياة في كافة صورها ... والمتأمل للأحيـــاء في مختلف ظروفهم ... يجد أن الإنسان مهما كان وفي أي عصر ولد وأي زمان ... وفي أي بقعة من الأرض عاش وأقام ... لا بد أن تتتابع عليه الحياة بمختلف صورها ... ولا بد حتى يشبع ... أن يجوع ... وحتى يشفى لا بد أن يمرض ... وحتى يطمئن لا بد أن يخاف ... وأي إنسان لا بد أن يعتريه في حياته مـــا يثير فيـــه بعض الخوف سواء أكـــان مصدر الخوف يعتبر أمراً حقيقياً أو كان وهماً ... بل لقد أثبتت الدراسات والأبحاث أن في كل نفس بشرية لا بد أن يتولد بعض الخوف ..

وإن اختلفت صور الخوف من إنسان إلى آخر... فقد يخاف إنسان من الفقر ... وغيره يخاف من المرض ... بل هناك من يخاف الظلام ... وغيره على نقيض ذلك يخاف الأضواء ... ومن الناس من يخاف الهدوء والسكون ... وغيرهم يرتجفون من الزحام والجلبة ... والمتأمل لحاله ... يجد أنه لا بد قد مرت به فترة أحس فيها بالجوع ... أيا كان سبب الجوع ... لسفر ... أو انقطاع الزاد ... أو لنقص في الأموال ... أو لاعتلال في الصحة.. وكل إنسان قد تعرض في حياته... من ناحية ماله... إلى الحالين... الغنى والفقر... أو زيادة المال ونقصانه... والحياة إذا كانت تفيض بحقائق واضحة أمام الإنسان فإن الحقيقة الكبرى المؤكدة في الحياة والتي لا شك فيها هي الموت ... الذي هو النهاية الحتمية لكل حي... ولأن الإنسان يعيش مع الأحياء فلا بد أن يصيب بعض هؤلاء ما لا بد أن يصيب جميع الأحياء ... فيمر بهم موكب الموت الذي لا بد أن يركبه كل إنسان ... وكل طير وحيوان ... وكل كائن حي ... طالما دبت فيه الحياة ... فالإنسان الذي يحسن التأمل ويدرك الحقيقة إنما يعتقد اعتقاداً جازماً ... ويؤمن إيماناً راسخاً ... بأنه حتما إلى الله ... طال الأجل أو قصر ... وأنه في طريقه يقينا إلى الله لذلك فإنه إذا ما استشعر ما قد يصاب به في حياته مما لا بد أن يصيبه حتماً من خوف أو جوع أو نقص من الأموال أو النفس أو الثمرات ... رده إيمانه ... ويقينه إلى الحقيقة المؤكدة ... إذ كيف يجزع ... وكيف يفزع ... وكيف يأسف ... وكيف

يحزن ... وهو نفسه إلى الله يسير ... وفي كل لحظة هو إلى الله يرجع ... إن هذه الحقيقة المؤكدة في الحياة ... والتي لا بد لكل إنسان أن يؤمن بها ... ويتصرف في ضوئها ... بل ويذكرها فوراً ... قد جعلها الله سبحانه وتعالى طريقاً إلى رحمته في الآخرة وما أسهله من طريق وما أيسره من عمل ... وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

« وَلَنَبلوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِن الخَوفِ والْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَموالِ والأَنفُسِ والثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابرِينَ الَّذِينَ إذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قالوا إنَّا للهِ وَإنَّا إليْهِ راجِعُونَ . أُولٰئِكَ عَليهِم صَلَواتٌ مِن رَبِّهِم ورَحْمَةٌ وأُولٰئِكَ هُمُ المهْتَدُونَ ».

وينظر الإنسان إلى نفسه ... ويتأمل ما في داخله ... ويتطلع إلى ظاهره ... ترى ... من خلقه ؟ ومن أوجد له ما بداخله الذي يحتاج إليه ... وأبدع صورته التي هو عليها ؟ ... ومن خلق كل ما حوله ؟ وهذا القصد والتدبير ... وهذا النظام العجيب ... وإذا ألقى نظرة عابرة ... أو حط ببصره على وردة زاهية ... وإذا حلق بفكره في السماوات ... ورأى النجوم والأفلاك ... وإذا جلس على شاطىء بحر ... فرأى الأمواج ... أبداً .. تتلاطم ... ودائماً تتلاحم ... والشمس ... وكيف تشرق ... لتغيب ... ثم القمر ... يكون بدرا ... ليصير محاقا ... في نظام محكم ... وترتيب أكيد ... ترى ... هل

هناك شك في وجود الله ؟ ... ثم مهما عميت أنظاره ... ألا يرى ببصيرته ! ... ألا ينبعث من داخله بالرغم عنه ... الشعور بوجود الله ... ألا يذكر الملحد أيا كانت درجة إلحاده ... وهو في غمرة حديثه .. أو في شدة تصبيه ... الله سبحانه وتعالى ... كما ينادي الطفل ربه ... دون أن يعرف عن الوجود شيئاً ... وكما يلجأ إليه ... الإنسان الفطري الذي لم تصله بعد أي رسالة من السماء عن طريق رسل أو أنبياء ... وحتى الكافر ... والملحد ... والذي لا يؤمن بالآخرة ولا الحساب ... يرى بعينيه ... ويسمع بأذنيه ... وهو ينتقل من حياته الدنيا إلى الحياة الآخرة ... الملائكة ومعها أرواح الأقارب والأحباب ممن سبقوه ... يخبرونه ... ويبصرونه ... بآيات وجود الله وأدلة وحدانيته وشواهد عظمته ... فلا حقيقة في الوجود ... تعادل حقيقة وجود الله ... وقد يقام الشك في وجود الإنسان نفسه ... ولكن لا يقام الشك في وجود الله ... إطلاقاً .. فالإيمان بالله ... إنما هو أمر ... مقدر ومقرر ... وحقيقة لا شك فيها ... وإذا رأى الإنسان الجبال وكيف تقوم ... والليل وكيف يعقبه النهار ... والأنهار وكيف تجري ... لتنشر الرخاء والخير على جانبيها ... وكيف أن الأرض وما عليها ... والسماوات وما فيها ... كلها إنما هي بأمر الله ... ومشيئته هي التي تتم ... هل بعد ذلك يركن الإنسان العاقل ... إلى غيره ... لا يملك لنفسه نفعاً أو ضرا ... أم ترى يلجأ إلى خالق السماوات والأرض ... ومدبر الأمر ... كل أمر ... للسماء أو الأرض ... إذا كانت هذه هي الحقيقة ..

وهذا ما يجب أن يكون عليه كل إنسان ... أليس من شواهد رحمة الله الواسعة بالإنسان في الآخرة ... أن يجعل الله جل شأنه الإيمان به ... والاعتصام به من طرق ابتغاء رحمته ؟ ... إذ يقول سبحانه وتعالى :

« فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ واعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ في رَحْمَةٍ مِنهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِم إليهِ صِراطاً مُستَقِيماً » .

...وإذا ما استكمل الإنسان الإيمان بربه واستشعر حلاوته... وأحس برحمة الله في قلبه ... فإنه يصبح وليس من هدف له في الحياة إلا الجهاد في سبيل الله ... الله الذي خلقه ... وخلق له كل ما يريد ... وإن عصاه وأذنب ... وتاب واستغفره غفر له ... وأنعم عليه ... الله سبحانه ... الذي يرزق كل عباده ... ويبسط لهم الرزق ويحفظ عليهم حياتهم ... إن كفروا به رزقهم ... أيضاً ... وإن ألحدوا أبقى عليهم ... فهو الله ... وهم عباده ... فلو تأمل المؤمن حاله ... وحال الدنيا ... لجاهد في سبيل الله ... بأمواله ونفسه وأولاده .. فكل هذا منه ... وهو صاحبه ... فهؤلاء الذين آمنوا وجاهدوا ... في رحمته وفي نعيم ، إذ يقول المولى عز شأنه فيهم :

« الَّذِينَ آمَنوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدوا في سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِم وَأَنفُسِهِم أَعْظَمُ دَرَجةٍ عِندَ اللهِ وأُولئِك هُم الفائِزُونَ

يُبَشِّرهُم رَبُّهم برَحْمَةٍ منه ورِضوانٍ وَجَنّاتٍ لهم فِيها نَعيمٌ مُقِيمٌ . خالدِين فِيها أبداً إنَّ اللهَ عندَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ » ...

والإنسان في جهاده في سبيل عيشه في الدنيا إنما يرجو دائماً من غيره أن يحسن العمل معه ... مشتريا كان أو بائعاً ... متحدثاً ... أو مستمعاً ... تاجراً أو زارعاً ... ومهما كان ميدان احتكاك الناس به ... فإنه يطلب منهم أن يكونوا معه صادقين ... وأن يحسنوا معاملتهم له فإذا كان هذا هو رجاء الإنسان من غيره ... أليس ذلك هو ما يرجوه غيره منه ... إن الإنسان مطالب حتى تعمر الدنيا ... بأن يكون كل عمله... صالحاً ... فإن أخذ لا يأخذ أكثر من حقه ... وإن أعطى لا يعطي أقل من حق غيره ... وإن كان في موضع الراعي ... فليحسن معاملة رعيته ... وإن كان مشرفاً على غيره ... فليحفظ الأمانات أياً كانت الأمانات ... إن العمل الصالح ... في كل صوره ... وكافة ميادينه أمر طبيعي يجب أن يقوم به الإنسان ... ولكن رحمة الله الواسعة بالإنسان قد جعلت من قيام الإنسان بالعمل الصالح سبباً لابتغاء رحمة الله جل شأنه في الآخرة إذ تقول آيات القرآن الكريم :

« فأَمَّا الَّذِين آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالحاتِ فَيُدخِلهُم رَبُّهم في رَحمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوزُ المبِينُ » .

... ويريد الله سبحانه وتعالى أن تعم رحمته في الآخرة عباده إلا من يشرد ويأبى ... فجعل رحمته جل شأنه قريبة من المحسنين ... وما أيسر أن يكون العبد منهم وما أسهل الطريق لأن يكون أي إنسان من المحسنين ... إذ أنه حتى من لم يفسد في الأرض فهو من المحسنين ... وذلك بالنص الكريم :

« وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصلاحِها وادعُوهُ خَوفاً وَطَمعاً إِنَّ رَحْمتَ اللهِ قَرِيبٌ مِن المحسِنينَ » .

وأنزل الله سبحانه وتعالى للانسان كتاباً مباركاً فيه آيات بينات توجه النظر إلى شواهد وجود الله وأدلة وحدانيته ... وتشير إلى مظاهر قدرته وعظمته... وتبعث في الإنسان الاطمئنان إلى واسع رحمته... ويحيي أمل كل نفس في مغفرته... وفيه من الأوامر والنواهي التي بالاستجابة لها يتحقق للانسان في حياته الخير كل الخير ويأمن من أن يصاب في دنياه بشر أي شر ... فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان ويعلم ما يفيده وما يضره ... فكل ما أمر به أو نهى عنه جل شأنه فلحكمة مؤكدة وفائدة محتمة للانسان ... وزيادة على ذلك فإن من استجاب لها كان جزاؤه في الآخرة النعيم المقيم ... والثواب الكبير ... وفيه حدد الله سبحانه وتعالى علاقة الإنسان بغيره ... أيا كان هذا الغير ... قريباً أو بعيداً ... من أهله أو ممن يزاملونه في عمله وحدد علاقة الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه ... بل وأوضح

علاقة هذا المجتمع بالوطن الذي يضمه ... وعلاقة الدولة بغيرها ... فهو يحق القانون العالمي الذي وضعت فيه الحقوق وحددت الواجبات بما يكفل قيام الحياة على خير أوجهها وضمان حصول الأفراد والجماعات على كامل حقوقها...فحقوق الأفراد إنما تتصل اتصالاً مباشراً بقيام غيرهم بواجباتهم ... وحدد القرآن الكريم معالم الطريق التي لا يضل الإنسان فيها ... أبداً ... في دنياه وآخرته ... بل يصل بها إلى السعادة المطلقة في الحياة... وفي الآخرة ... وهذا الكتاب الذي استمع إليه الصحابة الأول ممن أوحي إليه به صلى الله عليه وسلم واستمر موضع الدراسة والفحص ... من خصوم الدين ومحل الرعاية والعناية ممن هداهم الله جل شأنه إلى اعتناق ما نزل به ... لم يجد فيه نفر من هؤلاء ولا هؤلاء ما قد يثير لديهم فيه أي شك أو ارتياب ... بل إن الدراسات والأبحاث لتضيف كل يوم إلى إعجازه جديداً يقطع بأنه وحي الله الكريم الوهاب ... وهذا الكتاب إنما أنزله الله سبحانه وتعالى رحمة بالإنسان في دنياه وآخرته إذ تقول عنه آياته الشريفة :

« تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ . هُدًى ورَحمةً للمُحسنينَ»

وفيه الشفاء والرحمة للمؤمنين بما يستجيبون إليه منه بالنص الكريم

« وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » .

ولكن الله الرحمن الرحيم جل شأنه... يضيف إلى ذلك صوراً أخرى من رحمته بالإنسان في الآخرة بالقرآن الكريم فيقول عز وجل :

« وَإِذا قُرِئَ الْقرآنُ فاستَمِعوا لَهُ وَأَنْصِتوا لَعَلَّكُم تُرْحَمونَ » .

فجعل الله سبحانه وتعالى من أسباب رحمته بالإنسان في الآخرة أن يستمع إلى القرآن الكريم وينصت إليه ... وإذا تم إنصات الإنسان إلى القرآن الكريم وهو يتلى فإنما يكون قد استحضر في نفسه كل أسباب التدبر والتأمل والتفكر فلا يلبث إلا أن يجد نفسه مستجيباً ... لا محالة ... لما يدعو إليه القرآن الكريم ...

وإذا كان القرآن الكريم وهو المعجزة الخالدة قد اعترف العالم بها وآمن بأنها فوق ما عهد وأسمى مما عرف ... وأنها وقد حوت من أساليب البيان والبديع ما يعجز عن الإتيان بمثله جهابذة اللغة وأرباب الأقلام ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ... وتضمنت من التشريعات ما يجعلها أفضل من كل ما عرفت الدنيا أو تأمل الأزمان من تشريعات ... وبها من الحقائق العلمية التي لم يصل إليها العلم إلا في عصرنا الحالي بعد أن اكتشفت وسائل البحث وطرق القياس وأجهزة التقريب وآلات الرصد... بل بها حقائق أخرى ما زالت خافية على العلم بعيدة عن مدارك

العلماء ... هذه المعجزة التي تضمنت كل ذلك ... ترى ألا يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي تلاها على الناس منذ أربعة عشر قرنا رسولا من الله حقاً ! ... ثم الحقائق التي تروى عن أخلاقه ... والأخبار التي نقلت عن معجزاته ... وهذا الدين الذي ينتشر في كل أرجاء الدنيا ... ويعترف الجميع بأنه هو الدين الذي يصلح لكل الاجيال والعهود ... وأنه الدين الخالد العالمي ... الذي ليس بعده دين ... ثم تمر الأيام وتتعاقب الأجيال فلا يزيد مرورها إلا تأكيداً لهذا الدين ... وتثبيتاً له ... ألا يكون محمد بذلك وهو الذي دعا إلى هذا الدين وجاهد من أجله ... نبي الله ورسوله ؟ ... وإذا كانت هذه حقيقة لا تقبل الجدل ... أليس من رحمة الله بالإنسان أن يجعل الإيمان برسوله من طرق رحمته الواسعة فيقول عز من قائل :

« يَا أَيُّها الَّذِينَ آمنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنوا بِرَسُولِهِ يؤْتِكُم كِفْلَينِ مِن رحمتهِ ويَجْعَل لكم نُوراً تَمشونَ بِهِ ويَغفِر لكم واللهُ غَفورٌ رَحيمٌ » .

وإذا آمن الإنسان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجب عليه طاعته ... وما طاعته إلا استجابة لما أمر به الله عز شأنه ... فكأن طاعتنا للرسول إنما هي استجابة لما أمر الله به وهي طاعة لله ... ومن شواهد رحمة الله الواسعة بالإنسان أن جعلها لمن يطيعون الله ... والرسول وذلك بالنص الكريم :

« وَأَطِيعوا اللهَ والرَّسُولَ لعَلَّكم تُرْحَمونَ » .

وتقوى الله سبحانه وتعالى من وسائل ابتغاء رحمته في الآخرة ... فكل من اتقى الله ... فقد ضمن رحمته ... ومهما كانت سبل التقوى فكلها طرق تؤدي إلى رحمة الرحمن الرحيم. وبالتقوى يتخذ الإنسان كل ما يجعل نفسه في وقاية من نتائج إتيانه ما يغضب ربه أو يضر به نفسه أو غيره ... فمن آمن بالبعث وبالحساب ... فإنه يخشى الله ... ومن خشي الله لا بد أن يتقيه ... ومن عرف العقاب ... وتخيل العذاب ... خشي الله .. ومن تأكد من لقاء الله ... وعرف آثار رحمته ... لجأ إلى الله .. ولا بد أن يتقيه تجنباً لعذابه ... وطلباً لرحمته ... ولأن التقوى سبيل رحمة الله فقد كانت الدعوة إليها ... أساس رسالات الرسل والأنبياء وموضع اهتمامهم ... وذلك بنص الآيات الكريمة :

« إِذْ قَالَ لَهمْ أَخُوهُم نُوح أَلا تَتَّقُون » .

« إِذْ قَالَ لَهمْ أَخُوهُم هُودٌ أَلاَ تَتَّقُون » .

« إِذْ قَالَ لَهمْ أَخوهُم صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُون » .

« إِذْ قَالَ لَهمْ أَخُوهُم لُوط أَلاَ تَتَّقُون » .

« إِذْ قَالَ لَهمْ شُعَيْب أَلاَ تَتَّقُون » .

« وَإِنْ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُون » .

ويأمر الله جل شأنه خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ عباد الله أمره سبحانه وتعالى لهم بتقواهم له بالنص الشريف :

« قُل يا عِبَادِ الَّذِين آمنُوا اتَّقُوا ربَّكم لِلذِينَ أَحْسَنُوا في هٰذِهِ الدُّنْيَا حسَنَةٌ وأَرْضُ اللهِ واسِعةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابرونَ أجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابِ » .

ويأمره هو أيضاً بالتقوى وذلك بالنص الكريم :

« يا أَيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ ولاَ تُطِعِ الكَافرِين والمنَافِقينَ إنَّ اللهَ كانَ عَليماً حَكَيماً » .

... وفضَّل الله سبحانه وتعالى المتقين على غيرهم تفضيلا كبيراً إذ أن تقوى الله إنما هي هدف العبادات الحقة الصادقة ... فليست العبادات هي مجرد حركات في اتجاهات محددة ولكنها وسائل بها يصل الإنسان إلى درجة التقوى ... ولقد وصف الله سبحانه وتعالى المتقين في آيات القرآن الكريم في مثل النص الشريف :

« لَيسَ الْبِرَّ أَن تولُّوا وُجُوهَكم قبلَ المَشْرق والمَغرِبِ

ولكِنَّ الْبِرَّ مَن آمَنَ باللهِ والْيَوم الآخِرِ والملائِكَةِ والْكِتَاب والنَّبِيِّين وآتى المالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقربَى والْيَتَامَى والمسَاكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ والسَّائِلينَ وفي الرِّقابِ وأقامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ والمُوفونَ بِعهْدِهِم إِذَا عَاهدُوا والصَّابِرينَ في البأْسَاء والضَّرَّاء وحِينَ البَأْسِ أُولئكَ الَّذِينَ صدَقُوا وأُولئكَ هُمُ المتَّقونَ » .

ولا تقتصر التقوى على ذلك... بل إن من طرقها ما هو ميسور . فالعدل من التقوى بالنص الشريف :

« اعْدِلوا هُوَ أَقْرَبُ للتَّقْوى » .

... والعفو ... من التقوى بالنص الكريم :

« وَأَن تَعفو أَقْربُ للتَّقْوى » .

واستقامتك مع أي خصم لك أو عدو من التقوى بالنص الكريم :

« فَما استَقامُوا لَكم فاستقِيمُوا لَهم إِنَّ اللهَ يُحِب الْمُتَّقِينَ » .

بل القول الصادق السليم من التقوى ، بالنص الكريم :

« ولْيخْشَ الَّذِينَ لَو تَركُوا مِن خَلفِهم ذُرِّيةً ضِعَافاً خَافوا علَيهم فَليَتَّقوا اللهَ ولْيَقولوا قَولاً سَدِيداً » .

وبالرغم من يسر التقوى وسهولة الطرق التي توصل الإنسان اليها فإن من رحمة الله بالإنسان في الآخرة ... أن يجعل جل شأنه أوسع رحماته للمتقين وذلك بالنص الشريف :

« ورَحمَتِي وسعِت كلَّ شَيءٍ فَسأَكْتبُها للَّذِينَ يَتَّقونَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ والَّذِينَ هُمْ بآياتِنَا يُؤْمِنونَ » .

ومن رحمة الله بعباده في الآخرة أنه جل شأنه سيرحم من يشاء منهم بإرادته ... ومشيئته ... فرحمته الواسعة قد اقتضت ذلك إذ تقول الآيات الكريمة :

« يُدْخِلُ من يَشاءُ في رَحمَتهِ » ، « لِيُدْخِل اللهُ في رحمَتِه مَن يَشَاءُ » .

وبذلك فلا يأس إطلاقاً من رحمة الله ولا قنوط... إذ لا يمكن أن يقنط من رحمة الله إلا الضالون وذلك بالنص الشريف:

« قالَ ومنْ يَقْنَطُ مِن رَحْمَةِ رَبِّهِ إلاَّ الضَّالُّونَ » .

وهكذا تتعدد الوسائل التي يفوز بها الإنسان برحمة الله في الآخرة حتى أن المتأمل والمتدبر ليجد أن رحمة الله به في الآخرة

أقرب مما يظن وأوسع مما يرجو ... وأيسر مما كان يعتقد ... فإن الله جل شأنه رحمة بعباده في الآخرة قد كتب رحمته لكل من سعى إليها بإيمان صادق ... أو يقين كامل ... أو بعبادة خالصة ،،، أو برأي سديد ... أو بقول طيب ... أو بعمل صالح ... أو بنظرة إلى السماء فيها الخشية من الله ... بل إنه مما يؤكد سعة رحمة الله بالانسان أنه عز شأنه زيادة على كل هذه الوسائل التي تؤدي إلى رحمته قد طالبنا بأن ندعوه ليرحمنا وذلك بالنص الشريف .

« وقل رَب اغفِرْ وارْحم وأنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمينَ » .

ترى من يستجيب للعباد غيرَ الله ؟ ... أليس هو القائل سبحانه وتعالى :

« وقَالَ ربُّكُم ادعُونِي أَستَجِبْ لَكمْ » .

ومن أصدق من الله قيلا ... ؟

سبحانك ... يا رب ... ما أوسع رحمتك ... إذ تعددت الطرق التي تؤدي إلى رحمتك ... واتسعت بحيث أصبحت وكأنها الوجود بأكمله ... وكيف لا يغطي الوجود كله رحمة الله بل وتزيد عليه ؟ ... أليس الله هو الرحمن الرحيم ... ؟ فأينما وجد الله ... وجدت الرحمة الواسعة الدائمة ... والله جل شأنه في كل مكان ... أينما كان ... وفي كل زمان ... وأي أوان ... وهو الأول ... فكأن رحمة الله وليس قبلها شيء ...

وهو الآخر ... فكأن رحمة الله وليس بعدها شيء ...

سبحانك ... يا رب ... كما شملتنا برحمتك في دنيانا ... لا تحرمنا رحماتك في آخرتنا ... وكما وهبتنا الرحمة في حياتنا على ما كان منا ... ندعوك لترحمنا في الآخرة بفضل منك علينا ...

« رَبَّنا لاَ تُزِغْ قُلُوبنَا بَعدَ إذْ هَدَيتَنا وَهَب لَنا مِن لَدُنْكَ رَحمَةً إنَّكَ أنْتَ الوهَّابُ » .

(صدق الله العظيم)

فهرست

هذا الكتاب
كتاب فريد في فكرته ومادته وغايته، وتوفيقه إلى
إشاعة الطمأنينة إلى "رحمة" الله من لدن
"الرحمن الرحيم"، تجعلنا نؤمن بأنها أقرب
مما نظن، وأوسع مما نرجو، وأيسر مما نعتقد.
بسط رائع لآيات معجزات في تركيب جسدنا وتكوين
عالمنا ونظام كوننا للتدليل على تلك الرحمة. نقرأه
فنصل إلى مسالخ الإيمان والتسليم، وعقولنا
وقلوبنا ونفوسنا راضية!
الناشر
الناشر
دار الكتاب العربي
دار الإسلام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة